

مجلة الكلمة الطبية

العدد الثالث

كلمة الكلمة

دور الشهيد في بناء المجتمع

من مميزات الشعوب المتحضرة هو اعتناؤها بالرموز الحضارية للوطن أو الأمة، وهكذا كان الإنسان منذ وجوده الأول على الأرض في سعي دائم لإثبات وجوده من خلال انتمائه الحضاري إلى المجتمع الأكبر، فيمثل علم الدولة - مثلاً - أحد الرموز الهامة لتحديد هويته الوطنية، إضافة إلى الشخصيات والرموز البشرية من علماء ومناضلين ومؤرخين وغيرهم، لكن أبرز هذه الرموز وأهمها هو رمز الشهيد.. فلا تكاد دولة متحضرة واحدة تخلو من نصب للشهيد يكون مزار ضيوفها وفخر أبنائها، ولم يأت هذا التكريم اعتباطاً وإنما للمنزلة التي يحتلها الشهيد في ماضيه لأنه وضع نفسه ضحية وقرباناً في سبيل أهداف أمته.. وفي حاضره لأن الأمم والشعوب بحاجة إلى القدوة المخلصة، ولن تجد أكثر إخلاصاً من الشهيد.

وقد عرف المجتمع المسلم قيمة الشهيد بحيث لم يكرمه أي دين آخر يمثل ما كرمه الدين الإسلامي، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعاهد دفن الشهيد وتعليم قبره بيده المباركة الكريمة، وهكذا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) في تعامله مع الشهيد، فيذهب إلى بيوت الشهداء ليطبّخ بيده لأبنائهم وهو خليفة المسلمين وقائد الجيوش الإسلامية!

فأيّ تكريم للشهيد يمكن أن يضاهي ما أعطاه الإسلام لهذا الرمز؟

وأية مكانة يحتلها الشهيد في إطار القانون الإسلامي؟

وظلت المجتمعات الإسلامية وعلى مر العصور تحفظ للشهيد هذه المكانة السامية، بحيث أصبحت الشهادة قيمة حضارية رفيعة تحت المجتمعات على التغيير وتقوم حالة الانحراف مهما بلغ مداها.

والتأريخ الإسلامي الحديث شاهد على الكثير من الانتفاضات والثورات التي اتخذت من اسم الشهيد شعاراً لها، وبهذا يكون دور الشهيد كدور القائد الحي وربما يفوقه من ناحية جذب عواطف الجماهير نحوه، وهو حي في الدنيا كما هو حي في الآخرة.. كما قال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

أسرة التحرير

تقويم الشهر

المناسبة	السنة (هـ)	اليوم
٣	١١هـ	وفاة فاطمة الزهراء (ع)
<p>في رواية عن الطبري عن الإمام الصادق (عليه السلام) وبناءً على قول الشيخين والسيد الكفعمي والبهائي، يصادف اليوم - الثالث من شهر جمادى الآخرة - وفاة السيدة فاطمة الزهراء (ع).</p> <p>لم تمكث الزهراء (ع) طويلاً بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فطال بكائها عليه حتى عدت من البكائين الخمسة، وقد شكا أهل المدينة من كثرة بكائها بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).</p> <p>قيل دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) في البقيع وجدد أربعين قبراً فاستشكل على الناس قبرها.</p> <p>وقيل دفنها في جوف الليل وسوى على حوالها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها.</p> <p>وفي رواية أنه سوي قبرها (ع) حتى لا يترك علامة من أجل أن لا يعلم مكان قبرها، وحتى لا يصلوا على قبرها، ولا يتمكنوا من نبشه.</p> <p>وقد اختلفت الروايات عن موضع قبرها (عليها السلام) فقال بعضهم في البقيع، وقال آخر أنه ما بين قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمنبر حيث أشار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري باب من أبواب الجنة فيما قال آخرون أنها دفنت في منزلها.</p>		
١١	٣٩٨هـ	وفاة الشاعر بديع الهمداني
<p>بديع الزمان الهمداني أحمد بن حسين الفاضل شاعر إمامي، قيل أنه توفي في السكتة القلبية فاعتقد أقرباؤه أنه مات فدفنوه فعاد إلى وعيه في القبر وصرخ بأعلى صوته، وعندما فتحوا القبر وجدوه قد أخذ شعر رأسه بيده وقد مات من هول القبر.</p>		
١٨	١٢٨١هـ	وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري
<p>هو شيخ الطائفة ورئيس العلماء والمجتهدين الشيخ مرتضى بن محمد أمين التستري المتوطن في النجف الأشرف، صاحب التصانيف المشهورة التي لا تزال مراجع للدرس والمباحثة في الحوزات العلمية.</p> <p>أما قبره الشريف فهو في صحن أمير المؤمنين عليه السلام جانب باب القبلة.</p>		
١٩		حمل آمنة
<p>يصادف في هذا اليوم بدأ حمل السيدة آمنة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي كانت ولادته المباركة في السابع عشر من شهر ربيع الأول أو ما يسمى بعام الفيل.</p>		
٢٠	٥ للبعثة	ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام)
<p>في السنة الخامسة للبعثة، وقيل في السنة الثانية للبعثة ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام. ولفاطمة الزهراء عليها السلام تسعة أسماء هي:</p> <p>فاطمة، الصديقة، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، الزهراء.</p>		

أما فضائلها فهي كثير لا تُعد ولا تحصى، وقد نقل من طرق العامة عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (فاطمة بضعة مني من سرها فقد سرني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس علي).

أما عائشة فهي تقول: (ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من فاطمة كانت إذا دخلت عليه رحب بها وقبل يديها).

٢٣ ٦٧٦هـ وفاة المحقق الحلي

هو الشيخ الأجل الأفقه، أستاذ الفقهاء وسلطان العلماء أبو القاسم جعفر بن الحسن الحلي المعروف بـ (المحقق) صاحب (شرائع الإسلام) و (المختصر النافع) وغيرهما، وهو خال العلامة الحلي. وللشيخ الحلي مزار ما يزال في محافظة الحلة في العراق. إن شخصية العلامة الحلي أكبر من نحيط بها في هذه السطور القليلة، ويكفي أن نقول أنه علامة زمانه وفقه عصره ووحيد دهره.

٢٥ ٧٧١هـ وفاة صاحب الإيضاح

هو الشيخ المعظم الجليل فخر المحققين والمدققين أبو طالب محمد نجل آية الله العلامة صاحب كتاب (الايضاح في شرح القواعد) ذكره والده العلامة في صدر جملة من تصنيفاته الشريفة، وقال في حقه: جعلني الله فداه، ومن كل سوء وقاه.. إلى غير ذلك. نال درجة الاجتهاد في السنة العاشرة من عمره الشريف.

٢٧ ١٣٢٠هـ وفاة الشيخ حسين النوري

هو الشيخ الأجل، خاتم الفقهاء والمحدثين صاحب التصانيف الرائقة فضيلة الحاج ميرزا حسين النوري، الذي اشتهر بين أوساط العلماء، له من العمر ست وستون عاماً، صاحب كتاب مستدرك الوسائل وكتباً أخرى بلغت ٢٥ كتاباً.

قبره الشريف في صحن النجف الأشرف في الرواق الثالث من الأروقة الشريفة.

٢٧ ٢٥٤هـ شهادة الإمام علي النقي (عليه السلام)

يصادف في هذا اليوم على قول رواية ثانية وفاة الإمام علي النقي (عليه السلام) فيما يرى البعض ومنهم الكليني بانها تصادف في الثالث من رجب. يقول المسعودي في كتابه مروج الذهب ١٧٠ / ٤ انه توفي يوم الاثنين لأربع بقين من جمادي الآخرة وكان عمره أربعين عاماً، أو واحد وأربعين وبضعة شهور، وكان عمره عند وفاة والده ست سنوات وخمسة أشهر تقريباً حيث نُصب إماماً للمسلمين، وأقام ثلاثة عشر عاماً في المدينة.

وطلبه المتوكل، فجلب الإمام إلى (سر من رأى) وبقي هناك عشرين عاماً وسكن داراً هي اليوم قبره الشريف. وقد ادرك زمن حكم المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز، وفي أيام المعتز اعطي الإمام سماً فقتل شهيداً، وفي وقت شهادته لم يك إلى جانبه سوى ولده الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وقد شق ثيابه على مصاب أبيه.

وعند شهادته حضر الأمراء والأشراف، وباشر الإمام العسكري (عليه السلام) غسل وتكفين أبيه، ودفنه في

الغرفة التي كان فيها يعبد الله بعض الجاهلين اعترضوا على الإمام شق ثيابه فقال للقائل: يا أحمق ما يدريك ما هذا، قد شق موسى على هارون عليهما السلام.

وفاة المزيدي

٥٠١هـ

٢٩

صدقة بن منصور المزيدي الأسدي الملقب بسيف الدولة، كان رجلاً حليماً كريماً عفيفاً شجاعاً ومن الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد روى الأصمعي بن نباتة: صحبت مولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) عند وروده صفين، وقد وقف على تل ثم أوماً إلى أجمة ما بين بابل والتل وقال: مدينة وأي مدينة فقلت له:

يا مولاي أراك تذكر مدينة أكان هناك مدينة وانمحت آثارها فقال: لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة (السيفية) يمدتها رجل من بني أسد يظهر بها قوم اخيار لو اقسم أحدهم على الله لأبر قسمه. بنى سيف الدولة الحلة عام ٩٨٤ هـ وقد سميت بالسيفية.

مفاهيم إسلامية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في القوانين الوضعية، التي تسير عليها مختلف شعوب المعمورة، والتي تحتاج إلى تطبيقها لكوادر ومؤسسات عديدة قد تصيب في بعض تطبيقاتها، وتخطئ في تطبيقات أخرى كثيرة، مما يكشف عن خللها الحاصل وضعاً وتطبيقاً، لأنها مستمدة من الإنسان واطع القوانين والذي له القدرة على نقضها والالتفاف حولها. وبالتالي تصبح تلك القوانين بحاجة إلى مراجعة مستمرة لغرض ملائمتها مع المستجدات على أرض الواقع. ولكن هل تلبي تلك التغييرات في القوانين طموحات واضعيها ورضا المطبقة عليهم؟ إنها رغم كل شيء تبقى قاصرة وعاجزة عن تحقيق أدنى مستويات الطموح ورضا الأفراد. لأنها تبقى موكلة لفئة محددة في تطبيقها والسهر عليها.

في الإسلام يختلف الوضع بصورة جذرية، لأن أحكامه منزلة من الله ولا تقبل النقض، ولأنها جاءت مناسبة لكل زمان ومكان، ولأن تلك القوانين إلهية الوضع فلا يمكن لسلطة أو قوة أن تستعيز عنها بقوانين أخرى تصلح للتطبيق.

هذه القوانين الإسلامية - مقارنة بالقوانين الوضعية - تمتلك قوى كثيرة للتطبيق، موجودة داخل النهج الاجتماعي للمسلمين الذين يملكون الوسائل العديدة كي تأخذ تلك القوانين مجراها. هذه الوسائل تعد قوة إجرائية للقانون أكبر وأعظم من كل نظام وضعي آخر، والقوى الإجرائية في الإسلام هي:

١ - الإيمان: الذي يهذب النفس من الداخل، وينظم مشاعر الإنسان ويحفظه من الحسد والحقد والجبن والقلق وغيرها من آفات النفس. ويتمكن الإنسان بواسطة الإيمان من المحافظة على أحكام الله حيث لا رقابة إلا له سبحانه.

٢ - التربية: وهي مجموعة تعاليم من شأنها تزكية النفس وتطهيرها من الرذائل. وهي عامل آخر مساعد لإجراء أحكام الدين من خلال استخدام كافة الطاقات الكامنة في جوهر الإنسان كالعاطفة والعقل، وتقوية أوامر الأسرة والقرابة مما تؤثر في خلق الفرد بأخلاقهم. وأيضاً تنقية الجو المحيط بالأطفال بحيث يجعل الطفل لا يفكر بالشر والرذيلة.

٣ - العقوبات: التي هي حصن منيع للمجتمع عن التماذي في الجريمة وليست فقط تكميلاً لنواقص الإنسان. وتتميز تلك العقوبات في الإسلام بأنها لا تثبت بشبهة أو سوء ظن بل تُدرأ بالشبهات.

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والذي هو مدار حديثنا في هذه الصفحات.

يكتسب هذا المفهوم في الإسلام أهمية كبيرة، من واقع أن كل إنسان مكلف، مسؤول عن نفسه وعن المحيطين به من خلال حركته في المجتمع وحركة الآخرين معه. وتلك المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان - باعتباره فرداً ضمن مجموعة - يجسدها الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

تلك المسؤولية المفروضة على الإنسان - باعتباره فرداً ذا شخصية مستقلة - وعلى المجموع - باعتباره عدة

شخصيات مجتمعة - تفرض من على كل واحد منا أن يتعامل مع ما يطرأ في المجتمع من واقع هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ولأن الإنسان مدني بطبعه، ينزع إلى مشاركة الآخرين وإقامة العلاقات والروابط بينهم، فإن كل فرد يعد تابعاً لمجتمعه الذي يعيش فيه، وإذا خرج عما تعارف عليه المجتمع فإنه يعد عيباً يؤمر بتركه. والدين الإسلامي يستخدم هذه الصفة، حيث يجعل العمل بأحكام الدين صبغة اجتماعية متعارفاً عليها يعاب على من تركها. فيفرض على كل مسلم أن يراقب الناس جميعاً، فإذا رأى مروقاً أو خروجاً على حكم ديني أو أخلاقي سارع إلى إنكاره وردعه بالحكمة والموعظة الحسنة، لكي لا يكون السكوت عنه تشجيعاً للآخرين على مخالفة الله والعبث بالدين.

وقد حث القرآن الكريم في أكثر من موضع - سواء عن طريق التصريح بالأمر بالمعروف أو بالتلميح - إلى المسؤولية الفردية أو الجماعية المترتبة على هذا المفهوم.

فعلى المستوى الفردي نقرأ قوله تعالى [فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً] (١). وقوله تعالى مخاطباً نبيه موسى (عليه السلام): [إذهب إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى] (٢). وقوله تعالى: [يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور] (٣).

وفي الخطاب القرآني لمجموع الناس نقرأ قوله تعالى: [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] (٤). وقوله تعالى: [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر] (٥).

وقوله تعالى [يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين] (٦).

وقوله تعالى: [والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] (٧). وقوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة] (٨).

وفي خطابه لبني إسرائيل يشدد الحق سبحانه وتعالى على تلك المسؤولية وعلى هذا المفهوم، من خلال توبيخهم وتذكيرهم بأن الأمر بالمعروف فيبدأ بالذات أولاً ثم يتدرج إلى الآخرين، فلا يمكن للإنسان أن يطالب

١ - النساء: ٦٣.

٢ - طه: ٤٢ - ٤٤.

٣ - لقمان: ١٧.

٤ - آل عمران: ١٠٤.

٥ - آل عمران: ١١٠.

٦ - آل عمران: ١١٤.

٧ - التوبة: ٧١.

٨ - التحريم: ٦.

إنساناً آخر بالكف والارتداع عن إتيان العمل المعيب، أو يأمر بالعمل الحسن وهو نفسه لا يؤدّيه، أو لا يرتدع عما يعيب عليه الآخرون.

يقول تعالى: [أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون] (٩). وفي موضع آخر يذم بني إسرائيل لتماديهم في المنكر، وأنهم لا يتورعون عن ارتكابه، ولا ينهاه عنه لو رأوه رأي العين، يقول تعالى: [كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون] (١٠). ولأهمية هذا المفهوم في صلاح الإنسان والمجتمع، فقد أكد نبي الرحمة وأهل بيته (صلوات الله عليهم) أنه سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب وتحلّ المكاسب، وترد المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر (١١). فلا تزال أمة محمد (صلى الله عليه وآله) بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء كما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١٢). ولم يغمض أمير المؤمنين (عليه السلام) عينيه في ساعاته الأخيرة حتى أوصى ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) قائلاً: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم اشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم) (١٣).

ولكن ما هي صور المعروف التي حَبَّب الإسلام فعلها، وصور المنكر التي حاربها؟ يقول سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله): إسعاف المريض معروف، وإعطاء الفقير، وحسن الخلق، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، والصدق، والأمانة، والحياء، والسخاء، والصدقة، والغيرة، والشجاعة، معروف. والعقل يحكم: أن الأمر بالحسن حسن. والإسلام لا يغفل هذه الناحية العامة من الحياة السعيدة، إنه يأمر الناس أن يأمروا بالمعروف، حتى يشيع المعروف في المجتمع. وما هو المنكر؟ المنكر: هو القتل، وهو الظلم، والسرقه، والزنا، والربا، والكذب، والخيانة، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل، إلى آخر ما يعد منكراً. وحيث إن المجتمع لا يخلو من مجرمين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فقد أوجب الإسلام ردعهم، وأمرهم بالمحاسن، وشدد في ذلك أكبر تشديد (١٤). ومن كل ما سبق يتبين الفرق بين هذا المفهوم في الإسلام - باعتباره قوة إجرائية رادعة حين يعمل بها الجميع - مقارنة مع القوانين الوضعية التي خط الإنسان بنودها. وقد أشار الإمام الشيرازي (دام ظله) إلى هذه الحقيقة بقوله:

٩ - سورة البقرة: ٤٤.

١٠ - المائدة: ٧٩.

١١ - الكافي: ج ٥ / ص ٥٥ كتاب الجهاد / باب الأمر بالمعروف ج ١ عن الصادق (عليه السلام).

١٢ - الوسائل: ج ١٦ / ص ١٢٣ / ح ١٨.

١٣ - نهج البلاغة: ٩٧٨.

١٤ - الفضيلة الإسلامية: ٢٥٥.

(قد أبدع الإسلام في هذا المجال، ويظهر ذلك بالمقايضة إلى القوانين الأرضية، إن القانون إنما يوجب التنفيذ على أناس خاصين، ولذا ترى خرق القوانين - حيث لا تبصر عين السلطة - أهون من الماء. أما الإسلام المبدع فقد أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكل) (١٥).

هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الكل، جاءت للمحافظة على النسيج الاجتماعي من العلل والأمراض والفساد، الذي إذا لم يبادر لعلاجيه أحد وترك على حاله، وكل يقول: ليس يعني مني شيء، فإنه يستفحل وينتشر في جسد المجتمع كالنار في الهشيم، فتحق عليهم - ساعتها - لعنة الله وغضبه، ويتساوى - في ذلك - البريء والمتهم، البريء بسكوته عما رآه من منكر، والمتهم بإصراره على هذا المنكر.

والحديث الآتي يلقي أضواءً على هذه الحقيقة الإلهية. قال الإمام علي (عليه السلام):

أيها الناس، إن الله عز وجل لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم يغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عز وجل). وقال (عليه السلام): لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره، لأن نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة إذا هو حضره، والعافية أوسع ما لم تلزمك الحجة الحاضرة.

قال: ولما جعل التفضل في بني إسرائيل، جعل الرجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتى ضرب الله عز وجل قلوب بعضهم ببعض (١٦).

هذا التخلي عن المسؤولية في ممارسة هذا المفهوم يأتي من ظن الناس أنه (يكفيهم صلاح أنفسهم، فما لهم والدخول في المجتمع، حتى يبتلوا بتلوّثه، ويكلفوا بالأمر والنهي؟ ولذا يمشون رويداً وابتعدون عن الناس. لكن. الإسلام لا يرضى بذلك بل يريد من كل إنسان أن يدخل المجتمع، فيقوم المعوج، ويأمر ويحرم وإلا كان شريكاً في الإثم، وإن كان هو طاهر الذيل، نزيه القلب، ونظيف الجوارح) (١٧).

وحديث الباقر (عليه السلام) يوضح ويكشف هذا الجانب:

(أوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي (عليه السلام) اني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي) (١٨).

١٥ - م. ن: ٢٥٦.

١٦ - البحار: ج ١٠٠ / ص ٧٨ ح ٣٦.

١٧ - الفضيلة الإسلامية / السيد الشيرازي / ٢٦٣.

١٨ - جامع السعادات / ج ٢ / ص ٢٤٢.

شاعر وقصيدة

دعبل.. شاعر العلماء وعالم

عقيل الرماحي

الشعراء

دعبل شاعر اختلف فيه الناس من داله إلى لامه، ومبدأ ظل يحمله صاحبه على كتفيه أربعون عاماً بانتظار من يصلبه عليه، وعقد قصائد انفرطت حباته، فحفظت الكتب بعض منها، واندثر البعض مع من مات من حفظتها، تحفظ الأرض عنهم الكثير من أنفاس دعبل الشعرية.

ودعبل إنما هو ذعبل لقبته دابته لدعابة كانت فيه فقلبت الذال دالاً، وضاع اسمه بين الأسماء، فهو الحسن مرة، وعبد الرحمن مرة أخرى ومحمد مرة ثالثة، واختلفت كنيته بين أبا علي وأبا جعفر. وكما اختلف الناس في تحديد اسمه فقد اختلفوا في معنى لقبه، فهو (دعبل) الناقة الشارف، والبعير المسن، والناقة التي معها ولدها، وهو الشيء القديم.

ودعبل من أسرة احاطته ببهور الشعر وقوافيه، ومن قبيلة امتدت من اليمن إلى بلاد الشام، من البيت الرفيع لا يتقدمهم غير بني اهبان مكلم الذنب، خزاعي لايشك في نسبه، له سلعه رآها البعض في قفاه، وضحك دعبل وهو يراها في عنفقتة، حين نظر إلى وجهه في المرأة فتذكر قول الشاعر:

وسلعة سوء به سلعة ظلمت أباه فلم ينتصر

غازلته ملانك الشعر فبادلها الغزل وهو في الثانية والعشرين من عمره فكانت أول أبياته:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فوشت به شياطين الطرب (ابن جامع أو ابن المكي) عند الخليفة هارون الرشيد، فأثرت في نفسه حتى طرب، فمد الخليفة إليه يده بعشرة آلاف درهم مع دعوة للحضور إلى بغداد.

حوادث لم تقع

الشعر راحلة الشاعر التي لا تتعب وزاده الذي لا ينضب، ومقالة القلب والوجدان والمبدأ، وطانره الخرافي الذي ينقله في الأجواء المختلفة.

وللشاعر في كل بيت من الشعر مجلس يشدو فيه للحب والغزل، للمدح والهجاء، للحكمة والموعظة الحسنة، بيت أساسه المبدأ الثابت، والشعور المرهف، والهدف السامي على اعمدة قوية من الإيمان بالعقيدة، وبنائه الكلمة الصادقة والمفردة الجميلة، والصورة الواضحة.

وإذا ما علقت إحدى تواشيح الشاعر بمسامع خليفة من الخلفاء أو والي من الولاة، شُدَّت إليه الرسل تحمل إليه الهدايا والدعوات، رغبة في لقائه وطمعاً في استمالة لسانه وقبيلته.

وبعد أول مجلس عقده دعبل الخزاعي في أبيات قصيدته الأولى

(لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى)

وصل ضحك الشيب وبكاء الرجل فتعجب الرشيد قبل سلم وأراد أن يعرف سر هذا الشاعر الخزاعي ذو الاثنين وعشرين ربيعاً وبكانه سيما وهو ابن القبيلة المترامية الأطراف.

سأل الرشيد عن قائل الشعر بعد سماعه له فقيل له: دعبل بن علي الخزاعي، غلام نشأ من خزاعة، فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته وقال له: اذهب بهذا إلى خزاعة فأسأل عن دعبل بن علي فإذا دلت عليه فاعطه هذا وقل ليحضر إن شاء وإن لم يجب إلى ذلك فدعه، فسار الغلام إلى دعبل واعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير.

وحضر دعبل إلى الرشيد فقربه ورحب به وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً. إلا أن أبا الفرج الأصفهاني يرى أن سبب مغادرة دعبل مدينة الكوفة غير ذلك حيث انفرد بذكر حادثتين أو جريمتين قام بهما دعبل لم يذكرهما ولم يشر إليهما غيره مثل الخطيب البغدادي وابن عساكر ويقفوت الرومي وابن خلكان عندما ترجموا لدعبل.

ففي حديث للحسن بن عليل العنزي، عن علي بن عمرو بن شيبان، عن أبي خالد الخزاعي، قال: (وقد كتبت عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر!! قال: كان سبب خروج دعبل بن علي من الكوفة أنه كان يتشطر ويصاحب الشطار فخرج هو ورجل من اشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة وكان يروح كل ليلة بكسبه إلى منزله، فلما طلع مقبلاً وثبا إليه فجرحاه وأخذ ما في كمه، فإذا هو ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه ليلتذ معه، ومات الرجل مكانه واستتر دعبل وصاحبه، وجدَّ أولياء الرجل في طلبهما، وجدَّ السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة.

قال أبو خالد فما دخلها حتى كتبت إليه وكتبت أعلمه أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد وعن الحادثة الثانية يقول أبو الفرج الأصفهاني: في حديث لجعفر بن قدامة عن هارون عن أبيه وأبي خالد قال: كان دعبل قد جنى جناية بالكوفة وهو غلام، فاخذه العلاء بن منظور الأسدي، وكان على شرطة الكوفة من قبل موسى بن عيسى فحبسه، فكلمه عمه سليمان بن زرين فقال: أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب فيقطع يده، فلعله أن يتأدب بضربي آياه، ثم ضربه ثلاثمئة سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها إلا عزيزاً.

ثم إلى جانب هاتين الحادثتين حكاية أوردها أبو الفرج الأصفهاني لا تقل أهمية عنهما، ففي حديث لأبي الفرج يقول: كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها، ويرجع وقد أفاد وثرى وكان الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويواكلونه ويشاربونه ويبرونه! وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقف وشغف وكانا مغنيين فاقدهما يغنيان وسقامهم وشرب معهم وانشدهم، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة اسفاره، وكانوا يواصلونه ويصلونه.

في الحادثة الأولى نقول:

إن العنزي قد كتب كثيراً عن أبي خالد ولم يذكر هذا الخبر.. لماذا؟ وإن دعبلاً قد فر من الكوفة بعد التخفي بداعي جريمة القتل، ولم يعد إليها إلا بعد انقراض أولياء القتيل أو نزوحهم عن الكوفة!

ولم تذكر الرواية عن مصير الاشجعي شريك دعبل في الجريمة!

إن صاحب الرواية ورغم العتمة قد تمكن من معرفة ما في كُم القتيل وعدد الرمانات التي كان يحملها في خرقة ولم يتمكن من معرفة القتيل رغم معرفة عمله! ثم كيف عرف الراوي أن القتيل كان يأخذ كيسه معه كل

ليلة إلا تلك الليلة التي جرح فيها إذا لم يكن على معرفة تامة به ثم غفل اسمه!
وفي الحادثة الثانية نقول:

إن دعبل جنى جناية وهو غلام ولا ندري ما المقصود بالغلام وهل كان ممن يجب عليه الحد؟ وهل الحد هو هذه المنات الثلاث من السياط التي نزلت على جسم هذا الغلام؟ ثم كيف لم تؤد به ولم تقض عليه، وخرج من الكوفة بعد الضرب ولم يدخلها إلا عزيزاً!

وإذا ما كان دعبلاً قد جنى جناية فلماذا لم يذكر أبو الفرج نوع الجريمة أو أسبابها! ولنا أن نسأل لماذا خرج دعبل بعد معاقبته أو تأديبه ثم هل ان دعبلاً قد ارتكب جريمة واحدة أو جريمتين!

وإذا كان دعبل قد فر بعد ارتكاب جريمة القتل أو أنه قد خرج من الكوفة بعد تلك الجريمة التي أوجبت القطع ثم ابدلت بالضرب! فكيف تسنى لرسول الرشيد الوصول إليه واقناعه بالسفر معه وأين اجتمع معه! أما الحكاية الثالثة والتي تُصرّح بأن دعبلاً يخرج فيغيب سنين ويدور الدنيا كلها! ويجتمع بالشرارة والصعاليك بعد استقباله لهم والاحتفاء بهم والتآلف معه، فنحار في يقين هذا الزمن لهذا الأفق الخطير!

وإذا كانت أبيات دعبل قد وصلت إلى الخليفة فكيف لم تصل إليه أخبار اجتماعه وتواصله بالأشهر والصعاليك رغم سؤاله عنه!

على أنه لا يستبعد اجتماع دعبل بأولئك اتفاقاً أو اضطراراً ولكن لا على هذا النحو من المواصلات والمشاركة! إلا تدل الحكاية عن نسيج غريب لتجعل من دعبل رجلاً خطيراً، وكأنه كان دائماً على موعد مع أولئك.

الشعراء أبقى ذكراً من الملوك

ان تكون شاعراً فتلك حصانة دبلوماسية تمنع اعتقالك إلا في حالات الضرورة والطوارئ، وبطاقة تؤمن لك الوصول إلى حيث يجلس الخليفة يحيط بك الاحترام والتقدير، وحساب مصرفي مفتوح على مداد الوقت يسهل لك الحياة أينما حللت.

وحين تكون شاعراً ملتزماً مؤمناً بقضية ما فقد يفقدك التزامك كل شيء ويجردك فيه باستثناء المساحة التي تشغلها من عمر التاريخ، وتلك مساحة قد تصغر وتكبر تبعاً لرؤية هذا الباحث أو ذاك ومدى حياديته في البحث والوقوف بجدية على كل صغيرة وكبيرة في مسيرة حياتك الأدبية.

والشعر هو مساحة الحرية التي يمتلكها الشاعر مادامت القصيدة لم تولد بعد ولم توضع في قفص الاتهام أمام مجموعة من القضاة في محكمة الشعر.

كما أن للشعراء مكانة أرقى من مكانة الملوك والأمراء وصورة أبقى منهم في ذاكرة التاريخ، والفرق شاسع بين من يمسك بقلوب الناس بالقمع والإرهاب وبين من يملك تلك القلوب بالحب والاعجاب، ولأن عطاء الشعوب أكبر من عطاء الملوك، فذلك عطاء منقطع يسهل دفعه ورده وهذا - عطاء الشعوب - لا يمكن سلبه، وقد عبر دعبل عن ذلك بقوله:

(إن امرأ القيس كان من أبناء الملوك وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً وبقي ذكره إلى يوم القيامة وإنما أمسك ذكره شعره... وللشعر مكانة في نفس دعبل فهو - الشعر - الحاضر الغائب في كل المجالس، به تضرب الأمثال وتعرف محاسن الأخلاق ومشايينها.

يقول دعبل:

(إن الرجل الملك والسوقة إذا صير ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر، فيقرأ القرآن، ليس أن الشعر كهو ولا كرامة، ولكنه من أفضل الآداب فيأمره بتعليمه إياه لأنه توصل به المجالس وتضرب به الأمثال وتعرف به محاسن الأخلاق ومشايينها فتندم وتحمد وتهجى وتمدح، وأي شرف أبقي من شرف يبقى بالشعر).

وحين يمدح دعبل الشعر والشعراء فهو يصرح بذلك قائلاً (من فضل الشعر انه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له، ثم لا يقنع بذلك حتى يقال له أحسنت والله فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى).

خُتِمَ الشعر بدعبل

أحسنت ملء فمك واسماعنا، كلمات اعجاب وتقدير لشاعر كبير كأبي نواس وهو يسمع أول مقطوعة شعرية لدعبل، وكأنه ينبئ الجميع بولادة شاعر يمسك بالكلمات امساكه المنماص بالشعرة، قوي في شاعريته، جميل في أسلوبه، قال فيه الشاعر مسلم بن الوليد وهو يسمع الأبيات الأولى لدعبل (اذهب الآن فاطهر شعرك كيف شئت ولمن شئت).

وصرح البحتري بقوله: (دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم، فقليل له وكيف ذلك؟ فرد بقوله! لأن كلام دعبل ادخل في كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذهبهم كان يتعصب له. واوز ابن شرف القيرواني في حديثه عن دعبل: كان شاعر علماء وعالم شعراء.

ونقل عن محمد بن القاسم بن مهرويه قول أبيه في دعبل بن علي: (ختم الشعر بدعبل). وأما المأمون وعلى الرغم مما كان بينه وبين دعبل إلا أنه لم يخف إعجابه بدعبل (لله دره ما اغوصه وانصفه وأوصفه).

وحين سئل أبو تمام عن دعبل رد بقوله: دعبل بن علي الذي يقول (ضحك المشيب برأسه فبكي.. كأنه ينسبه إلى هذه الأبيات).

وقد سجل الجاحظ عن دعبل قوله: (مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذر شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً). وعندما يكتب دعبل عن دعبل وإعجابه بنفسه فيسجل انطباعه عن أبياته الأولى قائلاً: (انا ابن قولي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

ويذكر الحسن بن علي، ان ابن مهرويه نقل إليه حديث إبراهيم بن الدير فقال:

لقيت دعبل بن علي فقلت له اجسر الناس عندي واقدمهم حيث تقول:

اني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد

رفعوا محلك بعد طول خمولة واستنقذك من الحضيض الاوحد

فقال لي: يا أبا إسحاق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها.

دعبل شاعر الحب والهجاء

الناس في مواجهة المنكر ثلاثة أقسام كما يصرح بذلك الحديث الشريف (من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وعندما تتراجع أيدي الناس وتتقهقر سطوتهم تتناول يد السلطة فتأخذ بالداني والبعيد، الصغير والكبير، المرأة والرجل، تلبس الحق بالباطل، ويكون المتهم والبرئ، الوضع والشريف في ميزان السلطة سواء.

إلا أن السنة الناس تبقى طليقة في الخفاء إلا من حمل خشبة إعدامه على كتفيه، يعلن كلمته الواضحة على الملأ غير مكترث بقرار صاحب السلطة أميراً كان أو خليفة.

والشاعر الملتزم هو إحدى الصحف المؤرخة للأحداث والناقذة لها إما بلسان المدح والرضا وإما بلسان الذم والهجاء، لسان حال الناس في السراء والضراء، ويقول ما لا يستطيعون قوله.

ولم يكن لحن الهجاء قريباً من روح الشاعر دعبل الخزاعي في بداية حياته، وإنما أساليب السلطة الملتوية في التعامل مع أصحاب الحق هي التي دفعت بدعبل باتجاه الهجاء.

وكان لوجود دعبل في بغداد أن جعله قريباً من الأحداث بين الإخوة الخلفاء (الأمين والمأمون) وغيرهم وحقيقة تعاملهم مع آل البيت عليهم السلام الذين أحبهم دعبل حباً عميقاً وصادقاً، وأحس بمرارة وعذاب الحق المغتصب، فكان الهجاء لغته في التعامل مع السلطة العباسية.

يقول دعبل في اضطهاد الموالين لآل البيت:

إن اليهود بحبها لنبيها	أمنت بوائق دهرها الخوان
وكذا النصارى حبهم لنبيهم	يمشون زهواً في قرى نجران
والمسلمون بحب آل نبيهم	يرمون في الآفاق بالنيران

ويقول أيضاً:

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكت	وآل أحمد مظلومون قد قهروا
مشردون نفوا عن عقر دارهم	لأنهم قد جنوا ما ليس يغفر

إن حب آل البيت عليهم السلام أحد وجوه العلم وسبيل من سبيله يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، وحين يشدو الشاعر بحبهم عليهم السلام تأتي الكلمات حلوة عطرة ممزوجة طهراً باسمائهم، لها من نفحات الطيب ما يملأ القلب سروراً وبهجة، والنفوس طمأنينة ورضا، والضمير حياةً واستقامة.

قال يرثي الإمام الرضا عليه السلام:

وقد كنا نؤمل أن سيحيا	إمام هدى له رأى حنيف
ترى سكناته فتقول: غرّ	وتحت سكونه رأي ثقيف
له سمحاء تغدو كل يوم	بنائله وسارية تطوف
فأهدأ ريحه قدر المنايا	وقد كانت له ريح عصف
أقام بطوس تلحفه المنايا	مزار دونه نأي قذوف

وقال يرثي ابناً له ويذكر الإمام الرضا (ع) والسم الذي سقيه

بطوس عليك الساريات هتون
فأبكيك؟ أم ريب الردى فيهون
وإن قلت موت إنه لقمين
وتلقاك منهم كلحة وغضون
معالم دين الله وهو مبين

ألا أيها القبر الغريب محله
شككت فما ادري أمسقي شربة
وأيهما ما قلت: إن قلت شربة
ايا عجباً منهم يسمونك الرضا
اتعجب للجلال أن يتخيفوا

ويقول في آل البيت أيضاً:

لا تظهري جزعاً فانت بدات
شغل عن اللذات والقينات
أزكى وانفع لي من الفتيات
قلب حشوت هواه بالذات
في حبهم تحلل بدار نجا

طرقتك طارقة المنى ببيات
في حب آل المصطفى ووصيه
إن النشيد بحب آل محمد
فاحش القصيد بهم وفرغ فيهم
واقطع حباله من يريد سواهم

ويقول في قصيدة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام:

مرابع امطار من المزنات
طريحا لدى النهرين بالفلوات
قتيلاً ومظلوماً بغير ثرات
ستلقى عذاب النار واللغات
واقنت بالآصال والغدوات
مقال رسول الله بالشبهات

سقى الله أجدثاً على طف كربلا
وصلى على روح الحسين وجسمه
أنسى وهذا النهر يطفح ظامناً
فقل لابن سعد أبعد الله سعده
سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا
على معشر ضلوا جميعاً وضيعوا

وقال في آل البيت عليهم السلام:

محمد والوصي مع البتول
أولئك سادتي آل الرسول

شفيعي في القيامة عند ربي
وسبطا أحمد وبنو بنيه

ويقول دعبل حين حضرته الوفاة:

دعبل: أن لا إله إلا هو
يرحمه في القيامة الله
بعدهما فالوصي مولاه

أعد الله يوم يلقاه
يقولها مخلصاً عساه بها
الله مولاه والنبي، ومن

لقد كان دعبل بن علي شاعراً مقلداً متقدماً مبرزاً، تتجلى في شاعريته العالية القوة والابداع والروعة وفي تصويره للأدوار التي عاشها والأحداث التي شاهدها تصويراً رائعاً فهي المصداق الصحيح للمرأة التي تنعكس عليها الصور لتعبر عن مشاعر المجتمع وأفكاره وخلجاته.

لقد عاش دعبل في غليان من الخوف والقلق دون أن يحول ذلك أو يثنيه عما هو بسبيله حتى وافاه الأجل قتيلاً سنة ٢٤٦ هـ.

وجيده يحيا وإن مات قائله

يموت ردي الشعر من قبل أهله

شبهات وردود

التقية

نزار مصطفى

س ١: أنتم الشيعة يتّهمكم البعض بالتقية! فما هي التقية؟

ج: إن سؤالك هذا يشتمل على قسمين، وسأجيبك عن معنى التقية أولاً.

التقية في اللغة: هي مصدر تقي يتقي، والاسم التقوى. وفي القاموس المحيط: واتَّقَيْتُ الشَّيْءَ اتَّقَيْتُهُ، وأَتَّقِيهِ، تُقَى وتَقِيَّةٌ وتَقَاءٌ ككسَاءٍ: حذرتُهُ، والاسم التقوى.

فالتقية أو التقوى أو الوقاية، لها معنيان. أحدهما عام، والآخر خاص. فالمعنى العام هو التحفظ والحذر من الوقوع في المحرمات والإخلال بالواجبات. أو بعبارة أخرى: أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله حاجزاً واقياً. وهذا يتم بالعمل الصالح. ولهذا المعنى في القرآن الكريم آيات تدل عليه، منها قوله تعالى (واتقوا الله) و (يا أيها الناس اتقوا ربكم) وغيرها من الآيات الكريمة.

وهذا المعنى يشمل - بمقتضى عمومته - التحفظ عن كل ضرر والاتقاء من كل ما يُخاف ويخشى منه غضب الله سبحانه وتعالى لتستقيم للإنسان دنياه ويكسب آخرته.

وأما المعنى الثاني فهو اصطلاحي (خاص): وهو التحفظ عن ضرر الغير بموافقتِهِ في القول والعمل، وكنمان ما لديك من القول والفعل. والمعنى الاصطلاحي هو المقصود في حديثنا عن التقية، لأنه لا إشكال بين مذاهب المسلمين في المعنى الأول.

س ٢: ألا تعد التقية من النفاق إذ بها يظهر المرء خلاف ما يبطن؟

ج ٢: كلا. لأن التقية عكس النفاق، فالنفاق - في المفهوم الإسلامي - هو أن يُظهر المرء الإسلام ويبطن الكفر، أما في التقية فهو أن يظهر الكفر في حالات الخوف والخطر أمام الكافرين ويبطن الإيمان والإسلام. فالذي يبطنه الشيعي هو الإيمان. لقد آمنت الشيعة بالإسلام ديناً مهيمناً على الحياة، ولا يجوز الانحراف عنه أو التعبد بغيره. وقد قدمت من أجله كل غال ونفيس. وهم يشهدون بقلوبهم وألسنتهم أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويعقدون قلوبهم على الإيمان بما جاء به خاتم الرسل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويعملون بأوامره وينتهون عما نهى عنه لا تأخذهم في الله لومة لائم.

وهم أبعد الناس عن النفاق والرياء. وحينما يعملون بالتقية، إنما يخفون الحق ويظهرون خلافه، كما أنهم لا يعملون بالتقية إلا في مواردّها. وقد أعطى الشرع لكل مسلم الحق في تقدير الموقف الذي تجب فيه التقية، فإن خاف على نفسه أو عرضه أو ماله من الخطر، فعليه باتخاذ موقف التقية.

وهو أمر دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل.

س ٣: بيّنت لي الموارد التي تجوز فيها التقية، فما هي الموارد التي لا تجوز فيها التقية؟

ج ٣: هناك عدة موارد لا تجوز فيها التقية. مثلاً: إذا أدّت إلى قتل المسلم، فلا تجوز عندئذ التقية، كما قال

الإمام الباقر (عليه السلام): (إنما جعلت التقية ليُحقن بها الدم، فإذا بلغت الدم فليس تقية) (١٩).
كما أنه لا تجوز التقية في بيان معارف الدين وتعليم أحكام الإسلام. مثل أن يكتب عالم شيعي كتاباً على أساس التقية، ويذكر فيه عقائد فاسدة وأحكاماً منحرفة، على أنها عقائد الشيعة وأحكامهم.
ولهذا فإننا نرى علماء الشيعة أظهروا في أشد الظروف والأحوال عقائدهم الحقّة، ولم يحدث على مدى التاريخ الشيعي أبداً أن أقدم علماء الشيعة على تأليف رسالة أو كتاب على خلاف عقائد مذهبهم، بحجة التقية. فللمنصف أن يقرأ كتبنا ومن ثمّ يحكم على عقائدنا. فنحن نؤمن بما جاء فيها ظاهراً وباطناً فلا تقية في إظهار أحكامنا وعقائدنا.

س ٤: قلت إن للتقية أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل، فما هي هذه الأدلة؟
ج ٤: نعم توجد أدلة كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية. قال تعالى في كتابه العزيز: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم ثقاتاً ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) (٢٠).

فالدلالة على التقية واضحة في هذه الآية ولا تحتاج إلى مزيد من التفسير.
وقال عز وجل: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرّ بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (٢١).

وقد أجمع المفسرون أنّ هذه الآية قد نزلت في عمار بن ياسر وجماعة من المسلمين بعدما عذبهم مشركو مكة. فقد ذكروا أن جماعة من المسلمين قد أكرهوا عند التعذيب على سبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم عمار وأبوه ياسر وأمّه سمية وصهيب وبلال وخباب. وقتل ياسر أبو عمار وسمية أمه، فأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه، ثم أخبر سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك.
فقال قوم: كفر عمار.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كلاً. إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

وجاء عمار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يبكي.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما وراءك؟
فقال: شرّاً يا رسول الله! ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير.
فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمسح عينه ويقول: إن عادوا فعُدّ لهم.
فنزلت الآية.

وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب) باب (المداراة مع الناس) عن النبي (صلى الله عليه وآله) (إنّا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم).

١٩ - وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٨٣.

٢٠ - سورة آل عمران: ٢٨.

٢١ - سورة النحل: ١٠٦.

وهناك أيضاً حديث رفع القلم الذي رواه الفريقان، والذي يقول فيه النبي (صلى الله عليه وآله): (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ...).

وقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن الحالة بين المسلمين إذا شابته الحالة بين المسلمين والمشركون، حلت التقية للحفاظ على النفس. وقد ذكر الرازي - وهو من كبار علماء أهل السنة - في تفسيره أحكاماً عديدة حيث قال: (علم أن للتقية أحكاماً كثيرة. ونحن نذكر بعضها).

الحكم الأول: إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف على نفسه وماله، فيدريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهوم للمحبة والموالة، ولكن بشرط أن يضمن خلافه وأن يعرض في كل ما يقوله، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

الحكم الثاني: هو أنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث تجوز له التقية كان ذلك أفضل.

الحكم الثالث: أنها تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالة والمعاداة، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير - كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين - فذلك غير جائز البتة.

الحكم الرابع: ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين، إلا أن مذهب الشافعي يرى أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركون، حلت التقية محافظة على النفس.

الحكم الخامس: التقية جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ). ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ).

ولأن الحاجة إلى المال شديدة، فالماء - مثلاً - إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم، دفعاً لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز هنا؟

الحكم السادس: قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين، فأما بعد قوة الإسلام فلا. وروى عوف عن الحسن (البصري): أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة. وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.

التقية عند أهل البيت عليهم السلام

أما ما ورد بخصوص التقية عن أئمتنا (عليهم السلام) فهي كثيرة. منها ما جاء عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حيث تنزل به). وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (وأي شيء أقرّ لعيني من التقية، إنَّ التقية جُنةٌ المؤمن).

هذا ما رواه الفريقان السنة والشيعة بخصوص التقية، فقد كانت عند أوائل المسلمين من المسلّمات التي ثبتت عندهم.

التقية والعقل

أما عقلاً، فالإنسان بطبيعته التي فطر عليها، يتفادى الأخطار ويتجنب الوقوع فيها حفاظاً على نفسه، فنراه يبذل الغالي والنفيس وكل ما عنده كي يحافظ على نفسه، وإذا اتُّهم بشيء فإنه يحاول جهد إمكانه أن يُبرئ نفسه ويتملص من تلك التهم.

وهذه الطبيعة زرعها الله في نفس الإنسان لبقاء الجنس البشري، كي تنقذ فيهم مشيئته وإرادته التي من أجلها خلقهم. فالتقية شُرعت بما يوافق هذه الطبيعة البشرية، والتي تضمن بقاء الإنسان واستمرار حياته، ولا تنافي أو تناقض بين الشرع والعقل.

لذلك نرى أن التقية كما شُرعت في دين الإسلام، فإنها كذلك شُرعت في بقية الأديان التي سبقت الإسلام، وقد عمل بها الأنبياء والمؤمنون سابقاً. فهي سنة الله في عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً). وتجد ذلك في قصصهم مع ملوك زمانهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه القصص.

س ٥: ما هي هذه الآيات والقصص؟

ج ٥: من الآيات قوله تعالى: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) (٢٢). فهذا الرجل - كما يروى - هو ابن عم فرعون، وكان يكتم إيمانه بالله تقية أي مخافة أن يقتله فرعون إن علم بحاله.

وكذلك قوله تعالى: (فكذبوهما فعززا بثالث) (٢٣). فقد أورد القمي في تفسيره القصة الكاملة بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) وجاء فيها: ... فبعث الله الثالث، فدخل المدينة فقال: أرشدوني إلى باب الملك، فلما وقف على باب الملك، قال: أنا رجل كنت أتعبد في فلاة من الأرض وقد أحببت أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه للملك.

فقال: أدخلوه إلى بيت الآلهة.

فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه. فقال: بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالحنق أفلا رفقتما؟

ثم قال لهما: لا تُقرأ بمعرفتي.

ثم أدخل على الملك فقال له: بلغني أنك تعبد إلهي فلم أزل وأنت أخي فاسألني حاجتك.

وقال الثعلبي في تفسير الآية: أي فقويننا برسول ثالث، وهو شمعون الصفا من حواربي عيسى (عليه السلام)... إلى أن قال: وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم.

وكما نرى أن تقية شمعون الصفا وهو رأس حواربي عيسى (عليه السلام) كانت من أجل إنقاذ صاحبيه اللذين أرسلهما عيسى قبله.

وروى البخاري في صحيحه عن قصة إبراهيم (عليه السلام) بعدة طرق، قال: لم يكذب إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) إلا ثلاث كذبات، اثنتين منها في ذات الله، بقوله: (إني سقيم) وقوله: (بل فعله كبيرهم).

٢٢ - سورة غافر: ٢٨.

٢٣ - سورة يس: ١٤.

وقال: بينا ذات يوم هو وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له - أي للملك الجبار -: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه وسأله عنها.

فقال له: من هذه؟

قال: أختي.

فأتى سارة وقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني.

وأوردها الثعلبي في قصصه، وجاء فيه: إنه تخوّف إن قال هي امرأتي أن يقتله. والقصص كثيرة نكتفي بهذا القدر منها.

س ٦: إذن لماذا يتهمكم الناس بالتقية، وهي كما بيّنت قد شرّعت في الإسلام؟

ج ٦: لو تصفّحنا التاريخ الإسلامي، لوجدنا أن كثيراً من أصحاب المذاهب الأخرى وأتباعهم كانوا يعملون بالتقية، وكانوا يجتنبون غضب السلاطين على حساب مذهبهم وآرائهم. لكن التقية ألصقت بشكل مجحف بأتباع أهل البيت (عليهم السلام) لأسباب ودواعي عديدة، منها العداء المذهبي بين المسلمين، وهناك أسباب سياسية تتعلق بمواقف الشيعة من الحكام الطواغيت من الأمويين والعباسيين والعثمانيين.

لقد رأى هؤلاء أن المذهب الشيعي عقبة أمام سلطانهم، وأن فيه خطراً حقيقياً يكمن في خطهم الفكري المتين الذي أخذوه عن أهل البيت (عليهم السلام) والذي يفضح تسلطهم الطاغوتي على رقاب الناس بالحديد والنار. ولذا كانت المجازر والمقاتل الجماعية من الشيعة تربو عن الإحصاء والعدّ، وهذا يكفي لتبني التقية والعمل بها وممارستها سلوكاً وخطّة.

لقد حافظت التقية على دماء الشيعة وعملت على استمرارهم وتزايد قوتهم. فقد كان الحكام من الأمويين والعباسيين والعثمانيين، يتربصون بالشيعي لإهدار دمه. ولقد كان الكفر والزندقة أهون عندهم من شيعة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذا ما عبر عنه أئمة أهل البيت (عليهم السلام). فهذا الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: (إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أنّ الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته، ولو أنّ الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تُحبّون أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلّوكم في السرّ والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا) (٢٤).

المصادر:

١ - التقية في فقه أهل البيت (عليهم السلام).

٢ - شبهات حول الشيعة.

من أعلام الشيعة

الشيخ محمد بن يعقوب الكليني

من علماء الطبقة السادسة والسابعة حسب تاريخ وفاته، حيث توفي بعد ٦٩ سنة من شهادة الإمام العسكري (عليه السلام) المصادفة سنة مائتين وستين. والظاهر أن شيخنا المترجم له أدرك تمام الغيبة الصغرى، بل بعض أيام الإمام العسكري (عليه السلام)

مكان ولادته

ولد في بلدة كلين من قرى الري. قال في القاموس: (وكلين - كامير - قرية من الري). وقال الزبيدي في (تاج العروس): (وكلين - كامير - بلدة بالري، منها أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني من فقهاء الشيعة، ورؤوس فضلائهم في أيام المقتدر ويُعرف أيضاً بالسلسلي لنزوله درب السلسلة ببغداد). وقال الشيخ أحمد النراقي: (الكليني - بضم الكاف وتخفيف اللام - منسوب إلى كلين قرية من قرى الري)(٢٥). وقال العلامة الحلي: (الكليني - مضموم الكاف مخفف اللام - منسوب إلى كلين قرية بالري) (٢٦).

نسبه وحياته

هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي. ينتسب إلى بيت طيب الأصل في كلين، أخرج عدة من رجالات الفقه والحديث منهم خاله علان. وكان الكليني شيخ الشيعة - في وقته - بالري ووجههم، ثم سكن بغداد في درب السلسلة بباب الكوفة وحدث بها سنة ٣٢٧ هـ وقد انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر، وقد أدرك زمان سفراء المهدي (عج) وجمع الحديث من مشرعه ومورده، وقد انفرد بتأليف (الكافي) في أيامهم، إذ سأل بعض رجال الشيعة أن يكون عنده (كتاب كاف يجمع من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم ويرجع إليه المسترشد) (٢٧). وكان مجلسه يضم أكابر العلماء النافرين لطلب العلم، كانوا يحضرون حلقاته لمذاكرته ومفاوضته والتفقه عليه. وكان - رحمه الله - عالماً متعمقاً محدثاً ثقة حجة عدلاً سديد القول، يعد من أفاضل حملة الأدب وفحول أهل العلم، وشيوخ رجال الفقه وكبار أئمة الإسلام، مضافاً إلى أنه من أبدال الزهادة والعبادة والمعرفة والتأله

٢٥ - عوائد الأيام / النراقي / ص ٢٩٧. وذلك في (العائدة الأخيرة) التي ذكر فيها تصحيح بعض أسماء الرجال وألقابهم وكناهم.

٢٦ - خلاصة الاقوال / ص ١١ / في ترجمة أحمد بن إبراهيم المعروف (بعلان).

٢٧ - أصول الكافي / ص ٨.

والإخلاص.

والكافي - بحق - هو جونة حافلة بأطائب الأخبار، ونفيس الأعلاق من العلم والدين، والشرائع والأحكام، والأمر والنهي والزواج، والسنن والآداب والآثار. وتنم مقدمة ذلك الكتاب القيم - وطائفة من كلماته التوضيحية في كل باب من الأبواب - على علو قدره في صناعة الكتابة، وارتفاع درجته في الانشاء، ووقوفه على سر العربية، وبسطته في الفصاحة، ومنزلته في بلاغة الكلام. وكان مع ذلك عارفاً بالتواريخ والطبقات (٢٨).

مشايخه

مشايخ الكليني - في المعاجم الرجالية من الشيعة والسنة - ستة وثلاثون شيخاً من الأعلام. روى الكليني عن لا يتناهى كثرة من علماء أهل البيت ورجالهم ومحدثيهم (٢٩).

من هؤلاء:

- ١ - أحمد بن إدريس بن أحمد، أبو علي الأشعري القمي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ.
- ٢ - أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الهمداني المعروف بـ (ابن عقدة) المتوفى سنة ٣٣٣ هـ.
- ٣ - علي بن محمد بن إبراهيم بن أبيان، أبو الحسن الرازي الكليني المعروف بـ (علّان).
- ٤ - أبو الحسن، علي بن محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمران البرقي.
- ٥ - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصقار الأعرج القمي، صاحب كتاب بصائر الدرجات، المتوفى سنة ٢٩٠ هـ.
- ٦ - أبو جعفر محمد بن يحيى العطار الأشعري القمي.
- ٧ - أبو الحسين، محمد بن علي بن معمر الكوفي.
- ٨ - محمد بن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن عون، أبو الحسن الأسدي الكوفي ساكن الري..

تلامذته ومن روى عنه

- تتلمذ على يد الكليني وروى عنه جمهرة كثيرة، نذكر منهم:
- ١ - محمد بن علي ماجيلويه.
 - ٢ - أبو محمد هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد بن سعيد الشيباني التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥ هـ.
 - ٣ - أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٨ هـ.
 - ٤ - علي بن أحمد بن موسى الدقاق.
 - ٥ - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني المعروف بـ (ابن زينب)، كان ملازماً له يكتب كتابه (الكافي).

٢٨ - لؤلؤة البحرين / الشيخ يوسف البحراني / ج ١ / ص ٢٨٨.

٢٩ - بحار الأنوار / المجلسي / ج ٢٥ / ص ٦٧.

- ٦ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال الصفواني كان تلميذه الخاص به يكتب كتابه الكافي، وأخذ عنه العلم والأدب، وأجاز الكليني له قراءة الحديث.
- ٧ - أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم، المعروف بـ (ابن أبي رافع الصيمري).

آثاره العلمية

ترك الكليني الكثير من المؤلفات التي تفصح عن سعة اطلاعه في الكثير من العلوم والفنون. وآثاره العلمية هي:

- ١ - كتاب تفسير الرؤيا (٣٠).
- ٢ - كتاب، رسائل الأئمة (عليهم السلام) (٣١).
- ٣ - كتاب الرجال (٣٢).
- ٤ - كتاب الرد على القرامطة (٣٣).
- ٥ - كتاب الكافي (٣٤).
- ٦ - كتاب ما قيل في الأئمة (عليهم السلام) من الشعر (٣٥).

الكليني وكتابه (الكافي)

اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل كتاب (الكافي) والأخذ به والثقة بخبره، والاكتفاء بأحكامه. وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، وعلى أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجمل وأفضل من سائر أصول الأحاديث (٣٦).

ومن نظر كتاب الكافي وتدبر فيه تبين له صدق ذلك، وعلم أنه كتاب جليل عظيم النفع ليس له نظير، فاق جميع كتب الحديث بحسن الترتيب وزيادة الضبط والتهديب وجمعه للأصول والفروع، واشتماله على أكثر الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام). وقد اتفق تصنيفه في الغيبة الصغرى بين أظهر السفراء في مدة عشرين سنة.

وينقسم كتاب الكافي إلى (٣٢) قسماً، هي:

-
- ٣٠ - الفهرست / للطوسي / ص ١٢٥.
 - ٣١ - الفهرست / للطوسي / ص ١٢٥.
 - ٣٢ - الرجال / للنجاشي / ص ٢٦٧.
 - ٣٣ - الرجال / للنجاشي / ص ٢٦٧.
 - ٣٤ - كشف الحجب والاستار / ص ٤١٨.
 - ٣٥ - الرجال / للنجاشي / ٢٦٧.
 - ٣٦ - لؤلؤة البحرين / ج ١ / ص ٢٨٩.

كتاب العقل والجهل وفيه فضائل العلم وكتاب التوحيد وكتاب الحجة وفيه الخمس وكتاب الإيمان والكفر وفيه الطاعات والمعاصي وكتاب الدعاء وكتاب فضل القرآن وكتاب العشرة وكتاب الطهارة وكتاب الحيض وكتاب الجنائز وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصوم وكتاب الحج والمزار وكتاب الجهاد وكتاب المعيشة وفيه أنواع المعاملات وكتاب النكاح وكتاب الطلاق وما يلحق به، وكتاب العتق وتوابعه وكتاب الديات وكتاب الشهادات وكتاب الحكومات وكتاب الإيمان والنذور والكفارات وكتاب الصيد والذبائح وكتاب الأطعمة والأشربة وكتاب الزي والمروءة والتجمل وكتاب الدواجن وكتاب الوقوف والصدقات وكتاب الوصايا وكتاب المواريث وكتاب الروضة وهو آخر الكتاب (٣٧).

ما قاله العلماء في حق الكليني

قال النجاشي: شيخ أصحابنا في وقته بالري، ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم (٣٨). وقال الطوسي: ثقة عارف بالأخبار (٣٩). وقال السيد رضي الدين بن طاووس: الشيخ المتفق على ثقته وأمانته، أبلغ فيما يرويه، وأصدق في الدراية (٤٠). وقال ابن الأثير: وهو من أئمة الإمامية وعلمائهم. عالم في مذهبهم كبير، فاضل عندهم مشهور. وقال الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني: (محمد بن يعقوب الكليني، شيخ عصره في وقته، ووجه العلماء والنبلاء، كان أوثق الناس في الحديث وأنقدهم له وأعرفهم به).

وفاته

توفي - كما ذكر النجاشي في رجاله - ببغداد سنة ٣٢٩ هـ سنة تناثر النجوم (٤١). وقال السيد رضي الدين بن طاووس: (وهذا الشيخ محمد بن يعقوب كانت حياته في زمن وكلاء المهدي (عليه السلام): عثمان بن سعيد العمري، وولده أبي جعفر محمد، وأبي القاسم حسين بن روح، وعلي بن محمد السمری. وتوفي محمد بن يعقوب قبل وفاة علي بن محمد السمری، لأن علي بن محمد السمری توفي في شعبان سنة ٣٢٩ هـ وهذا محمد بن يعقوب الكليني توفي ببغداد سنة ٣٢٨ هـ) (٤٢). وصلى عليه محمد بن جعفر الحسيني المعروف بأبي قيراط.

٣٧ - الفوائد الرجالية / السيد بحر العلوم / ج ٢ / ص ٣٣٠ - ٣٣٢.

٣٨ - الرجال / ص ٢٦٦.

٣٩ - الفهرست / ص ١٣٥.

٤٠ - كشف المهجة / ص ١٥٨ وفرج المهموم / ص ٩٠.

٤١ - الرجال / ص ٧٢٦.

٤٢ - كشف المهجة / ص ١٥٩.

مقالات

الشورى في النظام الإسلامى

رؤى الإمام الشيرازى نموذجاً

عادل الربيعى

اتهم الدين الإسلامى - سواء من قبل أعدائه أو من أولئك الذين يلهثون للسير فى ركاب الأعداء - بأنه النظام الذى لم يترك بين مبادئه مساحة يمكن للرأى الآخر أن يعمل من خلالها، أو أن يبدي رأياً له فى أى مجال من المجالات الإسلامية مما يعد فى واقعه تجنياً لا أساس له من الصحة على الدين الإسلامى القويم. ولكن الأمر الذى لابد من الإشارة إليه هو أن هذه التجنيات لم تكن وليدة تجن محض من قبل أصحاب هذه المزاعم وإنما استندت على بعض الآراء التى يتبناها البعض من العلماء المسلمين الذين صوروا الدين الإسلامى الذى مجال لرأى الإنسان فيه مطلقاً. إلا أن الخطأ الذى وقع فيه أصحاب المزاعم السابقة الذكر هو أنهم أطلقوا الكلام على علاته ولم يخصصوا إطلاقهم. فليس كل العلماء المسلمين هم ممن يتبنى القول بعدم وجود أية مساحة للرأى فى الدين الإسلامى إنما هناك من العلماء من يرى خلاف هذا القول تماماً كما سيأتى فى طيات هذا الكلام

منطلق القائلين بعدم جدوى آراء الناس حتى لو شاوروا

لقد استدلت أصحاب هذا الرأى على رأيهم بذيّل إحدى الآيات القرآنية التى جاءت فى مورد الشورى وهى الآية ١٥٩ من سورة آل عمران التى تقول:

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

فهؤلاء العلماء قالوا بأن ذيل الآية الشريفة الذى يأمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتنفيذ ما عزم عليه فيما لو عزم على شيء إنما يدل فى ظاهره بعدم جدوى مشورة المسلمين فيما لو لم يقتنع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أشاروا به عليه.

إن أصحاب هذا الرأى غفلوا عن الأضرار التى يلحقها رأيهم هذا بالدين الإسلامى ما من شأنه أن يدعو للشك حتى على حكمة البارى جل وعلا.

فمن الأمور والإشكالات التى يمكن أن تثار على هذا الرأى، ما يلى:

١ - إن القول بهذا يعنى أن الدين الإسلامى هو دين الاستبداد والتسلط.

٢ - إنه يقود بالنتيجة إلى القول بأن الكثير من المبادئ الإسلامية إنما افترت بشكل صوري وهذا يعنى بالنتيجة التشكيك فى جدية ومصداقية الكثير من الأحكام والمبادئ الإسلامية مما يؤدى إلى فقدان الثقة بالدين الإسلامى أساساً.

موارد الشورى

هناك سؤال يمكن أن يثار في الذهن بناءً على القول بوجود المجال الذي يمكن أن تبدى فيه المشورة في الإسلام مؤداه هل هناك موارد محددة للشورى بحيث لا يمكن لها أن تتخطى المجالات المرسومة لها أم أنه ليس هناك حدود للمشورة أصلاً وان المشورة تشمل جميع المجالات وبدون استثناء؟

للجواب على هذا السؤال نقول من غير المعقول أبداً فسخ الباب لمسألة الشورى مطلقاً وبدون استثناء، فإن أمراً كهذا يمكن أن يكون له أساس من الصحة لو استطعنا إثبات الملازمة بين الحق وبين رأي الأكثرية دائماً. إلا أن هذا أمر لا سبيل لإثباته أبداً وهي الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك).

إذن وبناءً على عدم وجود الملازمة بين رأي الأغلبية وبين الحق دائماً، لا يمكن إسناد جميع المبادئ الإسلامية إلى رأي المسلمين ومشورتهم، وإنما هناك موارد معينة يمكن أن تكون مجالاً للعمل الشورى، مع وجود بعض الموارد التي لا تدخل في مجال العمل الشورى، كما سيأتي ذكرها عند التعرض لآراء سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) لاحقاً.

الشورى في الإسلام على ضوء رأي الإمام الشيرازي

- معنى الشورى:

لقد خُصص سماعته بعد الخوض في الأصل اللغوي لمفهوم الشورى وتقصى معانيه إلى القول بأن الظاهر (إن شرت بمعنى الاستخراج - أي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض - هو الأقرب لمفهوم الشورى باعتباره يتضمن معنى استخراج الرأي كما يستخرج العسل من داخل خلية النحل).

الشورى من القرآن:

هناك آيات ثلاث وردت في القرآن الكريم مما يشير إلى مبدأ الشورى وهي:

١ - (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادوا فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما...) البقرة / الآية: ٢٣٣.

ما يستفاد من الآية:

إن الآية الكريمة المتقدمة تشير إلى أن الله تعالى - ورحمة منه بالطفل - جعل مسألة فطامه من الأمور الشورية أي التي يعود البت فيها إلى المشاورة بين كل من الأب والأم.

يستغل سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) المقام ليستدل به على أولوية الشورى في الأمور السياسية قائلاً: (فإذا كان القرآن الكريم يوجهنا إلى أن نتشاور في أدنى أعمال تربية الولد وهو الفصل في الرضاع، فبشكل أولى يوجهنا نحو الاستشارة في الحكم فلا يبيح الإسلام لرجل واحد أن يستبد في الأمة).

٢ - (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين). آل عمران / الآية: ١٥٩ .
إمضاء ما ترجمه الشورى:

سبق أن قلنا إن الذين ذهبوا إلى شكلية الشورى في الدين الإسلامي وصورتها كانوا قد استندوا في رأيهم إلى ذيل هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: (فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).
فقد فسروا ذيل الآية بأنه خطاب للرسول يحضه فيه على تنفيذ رأيه فيما لو عقد العزم عليه غير آبه بما أشار عليه المسلمون وفي هذا القول ما فيه كما سبق أن قدمنا.

أما سماحة الإمام الشيرازي فقد ذهب - في تفسير ذيل الآية - مذهباً غير ما ذهب إليه العلماء السابقو الذكر مؤيداً فيه رأي الجماعة الأخرى من العلماء والتي قلنا عنها بأنها لا ترى شكلية وصورية مبدأ الشورى في النظام الإسلامي حيث يذكر ذلك الرأي الذي ترجمه قائلنا:

(ورأي ثان يقول: إذا عزمت بعد المشاورة في الأمر على إمضاء ما ترجمه الشورى وأعددت له عدته فتوكل على الله في إمضائه، وكن واثقاً بمعونته وتأييده لك فيه، وهو الرأي الأظهر يدعمه في ذلك سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر وأحد).

وهذا في الواقع هو الرأي الأكثر حظاً والأوفر نصيباً من الصواب، وذلك أنه أقرب إلى طبيعة الدين الإسلامي الشفافة واحترامه لآراء الآخرين ووضعها موضع الاحترام والتقدير، ثم إن هذا الرأي لا يعود على الدين الإسلامي - الذي يشهد حملة مضادة منقطعة النظير من قبل أعدائه واضرابهم - بالضرر والوبال إذ إنه الرأي الذي يوافق الحرية الطبيعية للإنسان كما أنه يعد الرأي الأكثر قبولاً من قبل الجميع وبغض النظر عما يحملون من الأيديولوجيات.

٣ - أما الآية الثالثة من الآيات التي وردت في مورد الشورى في قوله تعالى:

(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى / الآية: ٣٨ .
يقول الإمام الشيرازي (دام ظله) في مقام تفسيره لهذه الآية الكريمة: (والآية في وصف المؤمنين وفي تحديد واجباتهم، ومن جملة تلك الواجبات الشورى، فقد وردت الشورى بين أمرين واجبين إقامة الصلاة والإتفاق فالأولى في المجال العبادي والثانية في المجال السياسي؛ (بناء الدولة ونظام الحكم) والثالثة في المجال الاقتصادي... وهي ثلاث حلقات مترابطة وهي أركان المجتمع الإسلامي).

بعد الإنتهاء من عرضه للآيات التي أشارت إلى مبدأ الشورى في النظام الإسلامي، انتقل سماحته - وإستناداً للآيات المارة الذكر - إلى إيراد نقاط ثلاثة كخلاصة لما يمكن أن يستفاد من الآيات القرآنية في مورد الشورى نذكرها مع ما يمكن أن تحتل من التعليق عليها:

١ - إن الشورى مبدأ إسلامي عام لا يختص فقط في المجال السياسي بل حتى في الحياة الأسرية والاجتماعية.

إسلامياً إنَّ تبني كون الشورى مبدأ عاماً فيه رد على أولئك الذين يعتبرون الدين الإسلامي ديناً تصادر فيه حريات الأطراف الاجتماعية التي تتصف بالضعف - فسيولوجياً - كالمرأة في قبال الرجل، أو - اقتصادياً - كالفقير في قبال الغني، أو سياسياً كالمحكوم في قبال الحاكم.

ولكن إذا كان أولئك الذين يتهمون الدين الإسلامي بهذه التهم إنما ينطلقون في آرائهم من منطلق الواقع

الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية من ظروف القهر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فإن تلك الممارسات القائمة لا يمكن حسابها على المبادئ الإسلامية في أي حال من الأحوال، إذ إن تلك الممارسات جميعها لم تكن تنطلق من واقع النظريات الإسلامية لكي يمكن حسابها على الإسلام وإنما هي تصرفات تستند إلى آراء شخصية إن لم نقل بإستنادها إلى الموروث من عادات الآباء والأجداد وتقاليدهم. ثم إن الواقع يكشف لنا أن الدين الإسلامي مُنحَى جانباً فكيف يمكن أن تسند ظروف القهر والاستبداد إليه في الوقت الذي لم يسمح لمبادئه أن تظهر على الساحة.

٢ - إن للشورى مجالان، الأول: مشورة الحاكم المسلم للمسلمين في الأمور المتعلقة بهم، والثاني: مشورة المسلمين فيما بينهم على إدارة شؤونهم، فهي دعوة للطرفين إلى الشورى، طرف الحاكم وطرف الرعية. بعبارة أخرى أن الشورى يمكن أن ينظر إليها من جهتين الأولى هي من جهة كون طرفيها الحاكم والمحكوم، وهي ما يمكن درجه بناءً على الاصطلاحات الحديثة تحت دائرة الممارسات الديمقراطية التي يشارك الشعب بموجبها في إدارة الحياة السياسية للدولة. أما الجهة الأخرى التي يمكن أن ينظر إلى الشورى من خلالها فهي التي تتألف أطرافها من أبناء الشعب ومساحة الحرية لأطراف هذه الجهة، وهذا الجانب يمكن أن يندرج تحت باب حرية المعارضة.

٣ - مبدأ التشاور قائم في الأمور المتعلقة بشؤون المسلمين دون الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص. وفي ضوء هذه الفقرة يشير سماحته إلى ما سبق أن أشرنا إليه من القول بأن الشورى لا يعقل أن تتناول جميع جوانب الرسالة الإسلامية وإنما تقع دائرة الشورى في مساحة محددة لا تتجاوزها إلى غيرها من الثوابت التي ثبتت من الله سبحانه وتعالى ووصلتنا بالطرق التي يطمئن إلى صحة صدورها من قبل صاحب الشريعة. موارد الشورى في النظام الإسلامي

إذا ثبت أن مبدأ الشورى إنما يعمل في مجالات محددة، نقول فما هي دائرة عمل الشورى في الشريعة الإسلامية؟ وللجواب على هذا السؤال يمكن الاستفادة مما قدمه سماحة الإمام الشيرازي حيث يقول في ذلك: (ففي الواجبات والمحرمات لا مشورة، ومن ذلك في أمر النبوة والإمامة، وكذلك لا مشورة في سائر الأحكام الخمس، - المستحب والمكروه والمباح - والتي منها الأمور الوضعية، أما في سائر الأمور الشخصية منها، فتستحب المشورة فيها، وفي الشؤون الاجتماعية تجب مشورة الحاكم فيها مجبياً إلى الحكم وتنفيذاً لأمر دون أمر).

هذه نظرة عامة للشورى في النظام الإسلامي سلطنا الضوء فيها على بعض الجوانب من خلال القرآن ومن الأدلة الإسلامية الأخرى أملين أن نوفق فيما بعد إلى تسليط الضوء على الجوانب الأخرى التي تدعم هذه النظرية بما يؤسس لقيام الأرضية الصالحة لمجتمع إسلامي تسوده قيم الشورى التي جاءت بها الشريعة السمحاء على لسان القرآن الكريم والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والأحاديث والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام).

النظرة الإسلامية لمفهوم الهجرة

واثق العبادي

مقدمة

قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله). آية ٩٩ من سورة النساء.

يعتبر الإسلام الهجرة ركناً أساسياً في حياة الناس، الهدف منها هو إحياء وتربية شخصية الإنسان المسلم لمحاربة العوامل التي تدفع بالإنسان إلى العبودية والذل والخضوع للبيئة التي يعيش فيها أو للأمور المادية والمعنوية التي ولد فيها أو للأعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية والأخلاق السيئة، التي يفرضها عليه المجتمع الذي يعيش فيه، والهجرة ليست هرباً من الصراع أو فراراً من الزحف إلى الراحة وإنما هي للخروج من دائرة الضغط المانع عن التحرك إلى مكان أفضل للعمل والتحرك.

والهجرة سنة حياتية رافقت كل العصور البشرية وقد أدت نتائجها إلى ثورات إصلاحية وتغيرات جوهرية في المجتمعات المنحرفة واستحداث مجتمعات جديدة وإعمار الأرض وإصلاحها.

وكانت الهجرة إحدى الوسائل الدفاعية التي لجأ إليها الأنبياء (عليهم السلام) للحفاظ على حياتهم وحياة اتباعهم أولاً، ثم توفير المنطلق الآمن لنشر دعواتهم الإصلاحية ثانياً، ولم تخل حياة نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل من شكل من أشكال الهجرة الفردية أو الجماعية، وقد ذكرت الأخبار الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) الكثير من قصص هجرة الأنبياء (عليهم السلام).

فواقع الهجرة والمجموعة المهاجرة لا تعني تغيير المكان البسيط من مكة إلى المدينة أو أي مكان آخر، بل أن المفهوم الدقيق للهجرة والمهاجرين هو قطع العلاقات والروابط القومية والقبلية، ونبذ نظام الشرك والانتماء إلى مجتمع التوحيد والإسلام المبني على أساس التقوى والعدالة (٤٣).

ما معنى الهجرة

الهجرة لغة لها معان كثيرة، فهي مأخوذة من مادة هجر. والهجر والهجرة والهجرة: نصف النهار.

والهَجْرُ والهجران هو: ترك ما يلزمك تعهده، ومنه اشتقت هجرة المهاجرين.

والهَجْرُ: الهذيان في النوم.

أما اصطلاحاً فلها معنيان من وجهة النظر الإسلامية:

المعنى الأول ظاهري، فمعنى الهجرة هو، التخلي عن البيت والأهل والوطن والابتعاد عنها والتوجه إلى ديار الإيمان حفظاً للدين من الضياع، فالمهاجرين في صدر الإسلام هم الذين هجروا ديارهم وقدموا إلى المدينة إنقاذاً

٤٣ - كتاب أول حكومة إسلامية في المدينة المنورة للإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله).

لدينهم. وقد حرص القرآن الكريم على إحاطة هذا المعنى بقديسية خاصة، وورد ذكره في الكثير من الآيات القرآنية. ومثاله هجرة المسلمين المعروفة من مكة إلى الحبشة ومن مكة إلى المدينة.

والمعنى الثاني معنوي وهو: بمعنى هجر الذنوب والمعاصي والابتعاد عنها، فقد ورد في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) (إنَّ المهاجر من هجر السيئات).

ومن أمثلة هذا المعنى ما جرى على فضيل بن عياض الذي كان في بداية أمره لصاً سارقاً وقاطع طريق، فبينما كان يهم كعادته بسرقة بيت وعندما تسلق الجدار وهمّ بالنزول إلى داخل البيت رأى رجلاً زاهداً عابداً يصلي ويدعو ويقرأ القرآن بصوت خاشع وكان أول ما طرق سمعه قول الله تعالى (ألم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) آية ١٥ من سورة الحديد. فأحس فضيل أن الآية وكأنها أوحيت إليه وتخطبه هو وقد هزته من الأعماق حتى قال: اللهم بلى، اللهم بلى لقد آن الأوان وهذا هو، فنزل من الجدار وهجر من ذلك الحين كل الذنوب وارجع كل الحقوق التي كان قد اغتصبها إلى أصحابها، ففضيل هذا مهاجر أيضاً لأنه هجر الذنوب والسيئات. والحديث يقول أن المهاجر من هجر السيئات.

وهناك مثال آخر وهو الحادثة المعروفة في زمن الإمام الكاظم (عليه السلام) مع الرجل المعروف بعد ذلك ببشر الحافي فقد كان هذا الرجل ممن يشار إليهم في بغداد وحدث يوماً أن كان الإمام الكاظم (عليه السلام) ماراً من أمام بيت بشر فخرجت جارية له ترمي الفضلات وحين رمت بها في الطريق سألها الإمام (عليه السلام) هل صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فأجابته الجارية وقد استغربت من سؤال الإمام (عليه السلام) لأن بشراً كان معروفاً بين الناس، وقالت بل هو حر فقال الإمام (عليه السلام) صدقتِ لو كان عبداً لخاف من مولاه، وكان بشر جالساً إلى مائدة الخمر فسألها ما الذي أبطأك فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام (عليه السلام) وسمع قول الإمام (عليه السلام) (لو كان عبداً لخاف من مولاه) فهزه هزاً عنيفاً أيقظه من غفلته فسألها عن الوجهة التي توجه إليها الإمام فأشارت إليها فانطلق يعدو خلفه حافياً وفي الطريق كان يحدث نفسه أن هذا الرجل هو الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وفعلاً توجه إلى بيت الإمام (عليه السلام) وتاب على يديه واعتذر وبكى وهوى على يدي وقدمي الإمام يقبلهما وهو يقول سيدي أريد أن أصبح عبداً لله ولله وحده حراً تجاه غيره ومنذ تلك اللحظة هجر الذنوب وترك المعاصي وابتعد عنها فهو إذن مهاجر أيضاً.

وقد أسيء فهم هذا المعنى وفسّر بصورة خاطئة من قبل البعض عندما لجأوا إلى إلغاء المعنى الأول للهجرة بتذرّعهم أن معنى الهجرة هو ترك الذنوب فلا حاجة لنا إلى ترك الأهل والديار عند اقتضاء الضرورة وبدلاً من ذلك نجلس في بيوتنا ونهجر الذنوب ونترك السيئات والمعاصي فنصبح بذلك مهاجرين.

والواقع أن في الإسلام هجرتين لا هجرة واحدة وإلغاء أي من النوعين بالتذرّع بالنوع الآخر يعد انحرافاً عن الإسلام وتعاليمه وكفينا أن قادتنا الأوائل - الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) - كانوا مهاجرين في سبيل الله بكلا الهجرتين.

وإذا أردنا أن نحصل على معنى شامل لكلا المعنيين نستطيع أن نقول أن الهجرة تعني التخلص من الأشياء التي تلتصق بالإنسان أو يلتصق بها هو والابتعاد عنها فالمهاجر هو القادر على هجر أي عمل اعتاد على ممارسته إذا اقتضت الظروف الشرعية لذلك وهذه الآية (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) تحدثت عن كلا المعنيين للهجرة.

الآيات القرآنية التي تحدثت عن الهجرة

وهي كثيرة نذكر منها هذه:

- ١- إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله (البقرة ٢١٧).
- ٢- ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (النساء ٩٩).
- ٣- إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا (الأنفال ٧١).
- ٤- والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم (الأنفال ٧٤).
- ٥- الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله. (التوبة ١٩).
- ٦- لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم (التوبة ١١٦).
- ٧- والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (النحل ٤٠).
- ٨- ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا أن ربك من بعدها لغفور رحيم (النحل ١٠٩).
- ٩- والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً (الحج ٥٧).
- ١٠- وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا. (الأحزاب ٥).
- ١١- للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (الحشر ٧).
- ١٢- يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن (المتحنة ٩).

أسباب الهجرة ونتائجها

هناك هجرة سلبية يهاجر فيها الإنسان سياحة في الأرض. وقد ميز الإسلام هذا النوع من الهجرة، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى مال يصيبه أو امرأة ينالها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

وإذا تناولنا موضوع الهجرة الظاهرية نرى أن السفر جزء أساسي من أجزائها تتجلى فيه فوائد عديدة حينما يكون الهدف من السفر هو رضى الله ومصلحة الإسلام واكتساب الفضائل والكمالات الإنسانية. ويتضح ذلك جلياً في البيتين الآتيين من الشعر المنسوب إلى الإمام علي (عليه السلام):

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرّج همّ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

هذه الفوائد المذكورة في شعر الإمام (عليه السلام) جميعها في دار الدنيا، أما في دار الآخرة فقد وعد الله المهاجر إليه وفي سبيله خيراً ووعدته تعالى بالمغفرة والتوبة والدرجة العالية والمنزلة الرفيعة والفوز في الجنة، والآيات القرآنية تشير إلى ذلك صراحة.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة).

أما أسباب الهجرة فإن أكثرها تنتج عن ظلم الحكام وجورهم وتضييقهم على الإنسان المسلم في شتى أمور الحياة، وللتخلص من الضغط السياسي والاجتماعي يضطر الإنسان إلى الهجرة لتغيير موقع العمل إيماناً منه بأن هذا التغيير يصب في مصلحة الفرد والمجتمع المسلم وكذلك للتخلص من شهوات الدنيا ومن العادات السيئة.

متى تكون الهجرة واجبة

من الموضوعات التي اهتم بها القرآن الكريم هو موضوع الهجرة، وقد تكون في نظر البعض واعتقادهم مقتصرة على حادثة تاريخية خاصة وقعت في فجر الإسلام وهي هجرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأصحابه من مكة إلى المدينة وبها كانت بداية التاريخ الهجري. وبعد أن عرفنا معنى الهجرة فيتضح أنها لا تنحصر في زمان ومكان معينين وهذا يعني أنها تجب عندما يصبح دين الشخص وإيمانه في خطر، والآية الكريمة في قوله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساعت مصيرا). فيها دلالة على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه.

وكثيراً ما نجد الآن في بعض الدول الإسلامية أنها تمنع المهاجرين المسلمين من الوصول إليها بغلق حدودها في وجوههم مما يضطرهم إلى الهجرة إلى البلاد الغربية وفي ذلك يقول سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله): أن الوطن الإسلامي لا حدود له ولا حواجز فيه وما نراه الآن في الدول الإسلامية من سد حدودها بوجه المسلمين المهاجرين إليها، فهو من نظم الاستعمار ولا يجوز شرعاً (٤٤).

وقد أفتى سماحته بجواز السفر والهجرة إلى البلاد الغربية لتحصيل العلوم وما أشبه بشرط عدم ارتكاب المحرمات وترك الواجبات، وكذلك بوجوب الدفاع عن الإسلام إذا هوجم الإسلام أمامهم في البلاد الغربية (٤٥).

الخاتمة

إن أفضل نموذج للمهاجر في سبيل الله هو طالب العلم الذي يهجر وطنه وأهله ويذهب إلى بلد آخر لطلب العلوم الإسلامية وهدفه منها هو إرشاد الناس وهدايتهم ونشر أحكام الله لا لغرض الشهرة والسمعة والفخر

٤٤ - نفس المصدر.

٤٥ - منتخب المسائل الإسلامية لسماحة الإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله).

والتعالي على الآخرين، وكذلك طالب العلوم الأخرى كالطب والهندسة شريطة أن يكون هدفه من ذلك هو أداء الواجب الشرعي الكفائي كأن يهاجر لتعلم الطب إيماناً منه بحاجة المجتمع إلى أطباء مسلمين ولسد النقص في الكادر الطبي في بلاده الإسلامية.

وفي الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الهجرة نلاحظ اقتران الجهاد بالهجرة، ومن أوضح المصاديق للمهاجر والمجاهد معاً هو أبو عبد الله الإمام الحسين (عليه السلام) فقد هجر عليه السلام بيته ووطنه وجاهد في الله حق جهاده إنقاذاً للإسلام من التحريف وإبقاءً لمبادئه دون أن تمسها أيادي التحريف والتشويه. إن النبي موسى (عليه السلام) كان مهاجراً في سبيل الله إذ ترك وطنه وذهب إلى مدين ولكنه كان مهاجراً وحسب، وكذلك حال النبي إبراهيم (عليه السلام) (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) إذ ترك وطنه برغبته وهاجر. ومهاجرو صدر الإسلام كانوا مهاجرين ولم يكونوا مجاهدين قبل صدور الأمر الإلهي بالجهاد. أما الذي كان منذ بدايته مهاجراً ومجاهداً في سبيل الله في آن واحد هو الإمام الحسين (عليه السلام) وقد وقع أجره على الله.

وما يرى اليوم من صور الانتقال والترحال قد لا ينطبق عليها اصطلاح الهجرة كما عرفت الأدبيات الإسلامية، ولكن واقع الحال يشير إلى أن بعض المهاجرين في وقتنا الراهن ساهموا في إيجاد نوع من الجهاد والهجرة معاً عبر العمل التبليغي ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة وشد عرى التواصل بين المهاجرين القدماء وأوطانهم وتمكينهم وأبنائهم من العودة إلى الدين الإسلامي الذي كادوا أن يهجروه، ولابد من الإشارة إلى أن واجب العلماء والمسلمين في العالم هو مد جسور التواصل مع هذه الجاليات المسلمة وتهئية وإرسال المبلغين الأكفاء للقيام بمهام التبليغ الإسلامي وبالوسائل العصرية وعرض المبادئ الإسلامية بصورتها الناصعة لتفويت الفرصة على من يحاول النيل من هذه المبادئ وتحريفها والتغلب على الصعوبات التي كانت تعترض هذه المهمة الشاقة.

وقد نادى سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) بضرورة التواصل مع هذه الجاليات المسلمة وتمكينها من التعرف على الدين الإسلامي الحنيف وأداء الواجبات المفروضة والانتهاز عما نهى عنه هذا الدين القويم.

مراقد إسلامية

حجر بن عدي

علي البغدادي

حين يُكافأ فاتح المدينة.. بقتله فيها!

وحين يكون فاتح المدينة.. أول قتيل فيها!!

اسمه ونسبه

هو حُجْر بن عدي (بضم الحاء وسكون الجيم) الملقب بالأدبر، ابن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي الكوفي.. كنيته أبو عبد الرحمن، ويُعرف بحجر الخير وبحجر بن الأدبر تمييزاً له من ابن عمه حجر بن يزيد الموصوف بحجر الشر الذي شهد صفين في جيش معاوية..

نسبه الكندي نسبة إلى قبيلته كندة، والكوفي نسبة إلى إقامته في مدينة الكوفة.. وهو من الأربعة الذين انتهى إليهم الجمال في تلك المدينة. هكذا نسبه في (أسد الغابة) وغيره.

وفي (الطبقات) ابن كندي بدل ابن كندة، قتل في ولاء علي (عليه السلام) بمرج عذرى أو عذراء في شعبان سنة ٥١هـ كما في الاستيعاب أو سنة ٥٣هـ كما في مروج الذهب، ودفن بقرية عذرى التي ينسب المرح البها من قرى دمشق على أميال منها إلى جهة الشرق وقبره بها معروف.. وفي (الاستيعاب): الموضع الذي قتل فيه حجر وأصحابه يعرف بمرج عذراء..

ولم تذكر المصادر من أسرته سوى ابنه: عبيد الله وعبد الرحمن، اللذين قتلتهما مصعب بن الزبير صبراً.

أشعة من سيرته وأقوال العلماء فيه

ذكر ابن سعد في (طبقاته) أن حجراً بن عدي وفد مع أخيه هاني إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) مسلماً، فكان إسلامه بداية صحبة مباركة، وفاتحة درب جهادي طويل.. سمع من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أحاديث شريفة حفظها فكانت جزءاً من السنة النبوية المتبعة..

أجاب داعي الجهاد فكان مع الجيش الإسلامي الذي فتح الشام كما ذكر ابن عساكر. ولعل حكمة إلهية شاعت أن يكون قائداً للفرقة العسكرية التي فتحت مرج عذراء الذي شهد فيما بعد مأساة مقتله بسبب تمسكه بأوامر الإسلام ونواهيهِ وثبوتِهِ عليها.. وأيضاً شارك في القادسية وأبلى فيها البلاء الحسن.

لفت انتباهه المخلصون من رجال الصحابة أمثال أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه).. وكان من الحاضرين عند موته بالربذة، وعنى حضوره أنه يسير على خطى ذلك الصحابي الجليل في مقاومة أي انحراف عن جادة الإسلام المستقيمة..

قال الشيخ الطوسي في (رجاله) في أصحاب علي (عليه السلام): حجر بن عدي الكندي كان من الأبدال.. (٤٦).

وقال الكشي في (رجاله) أيضاً: حدثنا ابن عيينة حدثنا طاووس عن أبيه، أنبأنا حجر بن عدي الكندي قال: قال لي علي (عليه السلام): كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعني؟ قلت: كيف أصنع؟ قال إلعني ولا تتبرأ مني فإني على دين الله.

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج): أمر المغيرة بن شعبة - وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس فيعلن علماً، فأبى ذلك، فتوعدده المغيرة، فقام حجر فقال: أيها الناس إن أميركم أمرني أن ألعن علماً، فالعنوه، فقال أهل الكوفة: لعنه الله، وعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد.. وفي (الاستيعاب): كان حجر من فضلاء الصحابة رغم صغر سنه عن كبارهم. وكان على كندة يوم صفين، وكان على الميسرة يوم النهروان، وقال أحمد: قلت ليحيى بن سليمان: ابلغك أن حجراً كان مستجاب الدعوة؟ قال: نعم وكان من أفاضل صحابة النبي (صلى الله عليه وآله)..

وفي (أسد الغابة) كان من فضلاء الصحابة، وكان على كندة بصفين وعلى الميسرة يوم النهروان، وشهد الجمل أيضاً مع علي (عليه السلام) وكان من أعيان أصحابه، وكان قتله سنة ٥١ هـ وقبره مشهور بعذراء، وكان مجاب الدعوة.

وفي طبقات ابن سعد: كان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي (عليه السلام) شيئاً.. وقال أبو معشر: كان حجر عابداً، وما أحدث إلا تَوْضاً وما تَوْضاً إلا صَلَّى. وقد أجمل السيد محسن الأمين في موسوعته (أعيان الشيعة) ما ذكرته المصادر في فضل حجر بن عدي ومقامه..

فكانت صفات خلقية في جانب منها ركزت على (رياسته وشجاعته) الموجبة لاستحقاقه تولي قيادة الجيوش التي سبّرها الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة أعدائه.. وظهرت شجاعته في اقتفائه أثر الضحّاك بن قيس - قائد جيش معاوية - من العراق إلى تدمر حتى اضطره إلى الفرار ليلاً.. وأما (إباء نفسه) فقد حمّله على تمّني الموت قبل الرّغم والذل، و أما (مجاهرته بالحق ومقاومته الظلم) فهو مما اشتهر به فلم يغره زخرف الدنيا، وقد بذل زياد له ما يحب إن هو كفّ عما هو فيه، فلم يفعل..

وكانت له صفات إيمانية في جانب آخر من سيرته، فهو من (خيار الصحابة) كما شهد له بذلك كبار العلماء. وهو (عابد) وصفه الحاكم في (مستدركه) بأنه راهب الصحابة، وأنه ما أحدث إلا تَوْضاً، وما تَوْضاً إلا صَلَّى. وهو (زاهد) (عارف) (مستجاب الدعوة) قارب الأنبياء والمرسلين وهو (مسلم لأمر الله تعالى) سلم نفسه للقتل اختياراً دون البراءة من علي (عليه السلام).

وهو إلى ذلك موالٍ علماً (عليه السلام) من أعيان أصحابه على حد تعبير ابن الأثير في (أسد الغابة) وكان ثقة معروفاً لم يرو عن غير علي (عليه السلام) شيئاً وهو أول من قتل صبراً في الإسلام..

٤٦ - وفي (القاموس): رجل بدل: شريف كريم، الجمع أبدال.

حجر بن عدي ومواقفه مع الإمام علي عليه السلام

لما أرسل الإمام علي (عليه السلام) إلى أهل الكوفة يستجدهم يوم الجمل قام حجر بن عدي فيمن قام فقال: أيها الناس اجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً، مروا وأنا لكم.. ولم يقتصر دوره على إنهاض الهمم، بل خاض المعركة في موقع القيادة القتالية على كل من مذبح والأشعريين..

ويوم كان الإمام علي (عليه السلام) يعد العدة لحرب صفين، كان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي يعلنان البراءة واللعن من أهل الشام فنهاهما الإمام عن ذلك قائلاً: (كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتنتبرأون، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، كان أصوب في العقول وأبلغ في العذر)..

فقبلاً عظة الإمام (عليه السلام) وقام حجر بن عدي معلناً استعداداه واستعداد قومه للحرب قائلاً: نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها.. ولقد امره علي (عليه السلام) على كدّة حضرموت وقضاعة ومهرة في تلك الواقعة..

وأيضاً لما أغار سفيان بن عوف الغامدي على الاتبار وقتل حسان بن حسان البكري، وندب علي (عليه السلام) أصحابه إلى الجهاد تباطأوا، فقام حجر بن عدي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: (لا يسؤك يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه، فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت ولا على عشائرننا إن قتلت في طاعتك).. ويبدو موقفه أكثر وضوحاً في تقديم التضحيات طاعة لله، حين اختاره علي (عليه السلام) سنة ٣٩ هـ لرد أذى الضحّاك بن قيس الذي أرسله معاوية ليعبث فساداً في الأرض، ويشيع الذعر في أطراف المناطق التي يسيطر عليها جيش الإمام (عليه السلام).

فما كان من حجر بن عدي إلا أن تعقبه في العراق حتى التقاه عند تدمر فقتل تسعة عشر رجلاً من رجال الضحّاك الذي اعتصم بالليل واتخذ ستاراً للفرار..

ولقد ظلت رؤيته للأمور واضحة في مختلف الظروف والأحوال، وظل في موقع القيادة القتالية في مواجهة الفتنة، خاض مع علي (عليه السلام) جميع حروبه ضد الخوارج فكان على ميسرة الجيش يوم النهروان الشهير..

مقتل حجر بن عدي وأصحابه

لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة كان لا يدع ما وصاه به معاوية من شتم علي (عليه السلام) والدعاء لعثمان، فيقوم حجر بن عدي فيقول: (بل إياكم قد ذم الله ولعن.. وإني أشهد أن من تذرّمونه أحق بالفضل ممن تطرون).

وما كان حجر ليرتدع من تهديد المغيرة وتخويفه.. حتى إذا لام المغيرة جماعة من قومه في احتماله حجرًا، قال: إني قد قتلته، سيأتي بعدي أمير فيحسبه حجر مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة..

ولما ولى معاوية زياد بن سمية العراق في صفقة معروفة، قدم زياد الكوفة وهدد أهلها وقال في ما يتعلق بحجر بن عدي: (ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده.. ويل أمك يا حجر) (٤٧).

ويروى في السبب المباشر لأمر حجر، أن زياداً خطب يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر: الصلاة، فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة، فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة، ضرب بيده إلى كف من الحصا، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه، فكتب إليه معاوية أن شدة في الحديد ثم احمله إلي... حاول زياد أن يعتقل حجراً فأرسل إليه الشرطة فقاتلهم بمن معه فانفضوا عنه. ولما لم يستطع زياد الوصول إليه توسل الحيلة، فأبلغه بوساطة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وحجر بن يزيد الكندي وهو المعروف بحجر الشر، وجريز بن عبد الله، وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر، أنه يؤمنه ويبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه..

أقبل حجر حتى أتى زياداً فنكت هذا بوعده وأمر بحبسه. وقال عبدة الكندي وهو يعير محمد بن الأشعث خذلاته حجراً وبقتله في ما بعد (وافد آل محمد) أي مسلم بن عقيل:

أسلمت عمك لم تقاتل دونه فرقا، ولو لا أنت كان منيعا
وقتلنا وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا

بعث زياد حجراً وأصحابه إلى معاوية، فأنزلهم قرية عذراء فجاء رسول معاوية إليهم فقال لهم: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم وأن أبيتم قتلناكم. وإن أمير المؤمنين يزعم أن دمائكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه قد عفا عن ذلك فابروا من هذا الرجل نخل سبيلكم.. قالوا: اللهم إنا لسنا بفاعلي ذلك، فأمر بقبورهم فحفرت وأدريت أكفانهم فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله. ثم إن حجراً قال لهم: دعوني أتوضأ، قالوا له: توضأ.. فلما توضأ قال لهم: دعوني أصلي ركعتين فأيمن الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين. قالوا: ليصل.

فصلى ثم انصرف. فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها.. ثم قال: اللهم أن نستعديك على امتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها.. وإني والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرب.. فقتله الجلال..

وقد رثت هند ابنة زيد بن مخرمة الانصارية حجراً فقالت:

ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
إلا يا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير
فإن يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير

مرقده

عذراء (بالفتح ثم السكون والمد) (٤٨) وهي قرية بغوطة دمشق، واليهما ينسب مرج، وهي أول قرية تلي الجبل وبها منارة.. قاله يا قوت الحموي في معجمه..

تقع شمالي شرقي دمشق بعد دوما على طريق ضمير على بعد (٢٥ كلم) عن دمشق ويبلغ عدد سكانها (٢٥,٠٠٠) نسمة. وأبرز معالمها هو مرقد الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه. وكان قد أقيم على قبورهم بناء لا يُعلم من أقامه، ولكن يبدو أنه أقيم في أحد العهود الشيعية التي توالى على حكم بلاد الشام.. وقد أصبح هذا المرقد مزاراً يؤمه المؤمنون ليقروا آيات من الذكر الحكيم يهدونها إلى هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق ولم تأخذهم في الله لومة لائم..

في سنة (١٣٥١هـ) زاره السيد محسن الأمين فكتب عنه ما يلي: (قصدنا عذراء لزيارة قبر حجر وأصحابه فوجدناهم مدفونين في ضريح وعليهم قبة ببنيان محكم، تظهر عليه آثار القدم في جانب مسجد واسع فيه منارة عظيمة قديمة.. وقبتهم التي فيها ضريحهم الشريف مهملة مهجورة قد نسجت عليها العناكب وتراكت فيها الأتربة وليس في أرضها إلا تراب، وزيارتها متروكة عند أهل هذه البلاد.

ورأينا مكان صخرة كانت على باب القبة وبقي محلها ظاهراً، ولا شك أنه كانت عليها كتابة كما أخبرنا بذلك بعض أهل القرية.. ورأينا صخرة غيرها صغيرة مطروحة في أرض القبة مكتوبة بخط قديم لا تاريخ فيها، مكتوب عليها اسم حجر وأسماء بعض أصحابه)..

وفي العام (١٩٩١م) تم بناء مزار جديد ضخم وإلى جواره مسجد، بنيا بما بذله بعض التجار الإيرانيين من مال، وقد شيد على القبر منارة عالية وقبة رمادية اللون براقعة، وباحة عريضة حول مرقده، وأقيم إلى جواره مطعم وملحقاته..

والمزار يقع في أول البلدة إلى يمين الطريق من دوما إلى عذراء الموصل إلى حمص، ومساحة المقام (١٢ x ١٧ م) والمسجد (١٧ x ١٧ م) وقفص الضريح مصنوع من الفضة، وتوزعت على جدرانه المعلقات والهدايا الثمينة.. وقد استغرق العمل في المزار ثمانية أشهر..

وعلى أحد جدرانه علقت لوحة فنية مطرز عليها بخيوط الحرير أبيات من الشعر جاء فيها:

ماذا أقول بحجر بعد تضحيته	نفسى الفداء بحجر وهو مقتول
حب الإمام علي كان منهله	قد ذاب في حبه والسيف مسلول
هذا الولاء وإلا كان مهزلة	أو لا ادعاء لكذب وهو معسول
ما أنت يا حجر إلا رمز تضحية	في كل جيل له حمد وتهليل
كنت الشهيد وفي التاريخ مفخرة	وذكر خصمك في التاريخ مرذول

وإلى جانب المرقد الشريف شيد جامع كبير يسمى جامع حجر بن عدي تقام فيه صلاة الجماعة يومياً، ويزدحم به أهل القرية التي يقع فيها المقام والجامع خصوصاً يوم الجمعة..

٤٨ - عذراء: في الأصل الرملة التي لم توطأ، والدرة العذراء التي لم تنقب.

وإذا تقدمت إلى القبة تجد صخرة كتبت عليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، سكان هذا الضريح أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): حجر بن عدي حامل راية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وصفي بن فسيل الشيباني، وقبصة بن ضبيعة، وكرم بن حيان، ومحرز بن شهاب السعدي، وشريك بن شداد الحضرمي)..

تقرأ ما كتب وتسلم على الشهداء وتهديهم سورة الفاتحة المباركة، ثم تقرأ الزيارة المخصوصة بهم وهي: السلام عليكم أيها الشهداء الصابرون، السلام عليكم أيها الأتقياء الصالحون، صبرتم على عظيم البلاء حتى قتلتم في حب سيد الأوصياء، وفزتم بالدرجات العلى مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصديقين، فما أعظم مقامكم وأجل رتبتكم، صبرتم على حد السيوف وشرب الحتوف، ولم تبرؤوا من ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا ضعفت ولا وهنتم، وآثرتم الدار الباقية على الدار الفانية حتى قتلتم صبراً في سبيل الله ونصرة ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) صابرين محتسبين غير ناكلين ولا خائفين.

السلام عليكم يا أنصار الله، السلام عليكم يا أنصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأنصار الإسلام، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، رزقنا الله مرافقتكم مع الأبرار في جوار النبي المختار (صلى الله عليه وآله) ومع الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وترى بعد الانتهاء من الزيارة - وأنت تتأمل مقامهم الباقي رغم مرور السنين - أن الشهداء باقون، أحياء عند ربهم يرزقون..

المسلمون في العالم

المسلمون في بريطانيا

اتخذ البريطانيون دائماً موقفاً غامضاً من العرب المسلمين نتيجة الحروب الصليبية، سينة الصيت.. ولم يمنع هذا الموقف البريطاني الغامض، أن تقدم بريطانيا عدداً من الرحالة والمستكشفين الذين كتبوا عن (العربي المرح) بتعاطف واضح، أمثال دوتي بيرتون ولورنس وغيرهم..

لمحة تاريخية

يمكن أن نلمس مرحلتين للاهتمام البريطاني بالعرب والمسلمين..

المرحلة الأولى:

بدأ احتكاك بريطانيا بالعالم الإسلامي بشكل وثيق منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي رغم وجود المسلمين في بريطانيا خلال حكم سلالة تيودور وستيوارت..

وقد امتازت هذه الفترة بتوسع الامبراطورية العثمانية تجاه الغرب عبر وسط أوروبا والبحر المتوسط، وتوسع شبكة التجارة البريطانية نحو الشرق لملاقاة هذا التوسع العثماني..

وجرت معظم حالات الاحتكاك الأولية على شكل مناوشات بحرية، حيث كان التفوق التكنولوجي الإسلامي في البحر يقود إلى إغراق وأسر أعداد كبيرة من السفن البريطانية.

وتفيد الروايات أن الفترة ما بين العامين ١٦٠٩ و ١٦١٦ شهدت تعرض ٤٦٦ سفينة بريطانية للهجوم من قبل سفن عثمانية أو بربرية حيث أدى الهجوم إلى أسر طواقم هذه السفن..

بحلول العام ١٦٢٦، كان هناك ما يزيد على (٥٠٠٠) أسير بريطاني في مدينة الجزائر و(١٥٠٠) آخرين في مدينة سالي، وقد كانت السلطات تبذل البريطانية جهوداً جبارة لإطلاق سراحهم ما لم يفند هؤلاء الأسرى الذين اعتنقوا الإسلام بغيرهم من البريطانيين.

وبحلول العشرينات من القرن السابع عشر، لم يعد الوجود البحري التركي محصوراً على البحر المتوسط وإنما امتد ليصل إلى مياه الجزر البريطانية.. ففي آب من العام ١٦٢٥ أخرج العثمانيون حوالي ٦٠ شخصاً بين رجل وامرأة وطفل من كنيسة (مونينجيسكا) في كورنويل وساقوهم أسرى على متن سفنهم..

وفي العام ١٦٧٠ قدمت عريضة التماس للملك نيابة عن ١٤٠ رجلاً من (ستيبيني) تم أسرهم من ٢٢ سفينة تجارية على يد الجزائريين. والأمر الذي أقلق البريطانيين هو أن بعض هذه الغزوات كان يقودها انجليز اعتنقوا الإسلام..

وبالفعل كانت الأخبار تصل تباعاً إلى السلطات الملكية البريطانية تخبر عن اعتناق أعداد كبيرة من الأسرى للإسلام معظمهم بمحض إرادتهم، ومنهم من تبوأ مناصب قيادية مثل (حسن آغا) الذي يحمل في الأصل اسم

(سامسون رولي).

وعندما أرسل الملك تشارلز الثاني الكابتن هاميلتون لافتداء بعض الأسرى البريطانيين في الجزائر، باعت مهمته بالفشل حيث رفض الأسرى جميعهم العودة وفضلوا البقاء بعد اعتناقهم الدين الإسلامي، فما كان من المبعوث البريطاني المحبط إلا أن كتب في تقريره يقول: (لقد تم إغراؤهم للتضحية بربهم من أجل حب النساء التركيات)..

وفي معظم الحالات لم يكن الانجليز الذين اعتنقوا الإسلام عبيداً وإنما تجاراً أحراراً أو خدماً للملك سرهم ما كانوا يتمتعون به من رعاية ومميزات خاصة.

وبعد فترة وجيزة من الصدامات، بدأت التجارة البريطانية مع الامبراطورية العثمانية تزدهر، ومع نهاية القرن السابع عشر استحوذت التجارة مع تركيا على ربع النشاط التجاري الخارجي لبريطانيا..

وقد حدا هذا الوضع ببعض الساسة البريطانيين إلى التحذير من مغبة هذا الانفتاح، ومنهم السير (توماس شيرلي) الذي حذر من أن الحديث مع المسلمين يحدث فساداً كبيراً، وأن إقامة الانجليز في العالم الإسلامي تقربه كلما طالت من اعتناق مبادئ الإسلام وتبني أخلاق المسلمين..

لقد سيطر الإسلام على الانجليز بقوة جذبه لا بقوة سيفه، لدرجة دفعت بالقنصل البريطاني - لدى مصر في ذلك الوقت - إلى اعتناق الإسلام..

أما في بريطانيا فقد كانت ردة الفعل كبيرة على ما يجري من زحف للإسلام على هذا البلد وأبنائه، حيث تم بحث هذا الموضوع في جلسة برلمانية خاصة تناول ما أسماهم بالمرتدين عن الدين المسيحي إلى الإسلام.. وأغرب ردود فعل البريطانيين حيال اعتناق أعداد كبيرة منهم للإسلام، هو أن بعض الانجليز نشروا إشاعة مفادها أن مشروب القهوة الذي انتشر في بريطانيا ما هو إلا مؤامرة تحيكها الدولة العثمانية ضد المسيحية حيث تهيب الانجليز للارتداد عن دينهم (٤٩).

المرحلة الثانية:

اهتمت بريطانيا - أكثر من بقية الشعوب الأوروبية - بالعالمين العربي والإسلامي بسبب استعمارها لجزء هام من العالم العربي والإسلامي بدءاً من مصر ومروراً بشبه القارة الهندية (الهند - باكستان - بنغلادش) والخليج العربي (٥٠)..

وفي نهاية القرن التاسع عشر، عرف الانجليز الإسلام بطريقة تختلف عما عرفوه في بدايات الاحتكاك، وذلك بدخول سفيرهم اللورد (ستانلي أوف الدرلي) الدين الإسلامي، حيث اعتنقه وهو سفير لبلاده في تركيا..

وقد أطلق السفير الانجليزي على نفسه اسم عبد الرحمن.. وتبعه في اعتناق الإسلام السير (كويليام) أحد الشخصيات الهامة في ليفربول، وأسمى نفسه (عبد الله)..

وأصبح هذا الرجل داعية للإسلام في ليفربول، إذ حول قسماً من قصره إلى مسجد وأصدر جريدتين

٤٩ - بيان الكتب/ ملحق جريدة البيان الاماراتية/ العدد ٤٢ / الاثنين ٢٢ شباط ١٩٩٩.

٥٠ - الإسلام في أوروبا الغربية/ سعدي بزيان/ ص ٦٧.

إسلاميتين، كان يقصد منهما نشر الدين الإسلامي والدعوة له في بلاده (٥١) ..

هجرة المسلمين إلى بريطانيا

بعد خروج الاستعمار البريطاني من الدول العربية والإسلامية التي استعمرها، ربط شعوب شبه القارة الهندية بـ (كومنويلث) معه، وقد منحت بريطانيا لرعايا (الكومنويلث) حقوقاً خاصة تتعلق بحصولهم على الجنسية بصورة طبيعية، ومنحتهم تسهيلات في الإقامة والعمل في بريطانيا، وقد شجعت هذه العوامل شعوب شبه القارة الهندية للهجرة إلى بريطانيا، وقد بدأت الطلائع الأولى من المهاجرين المسلمين من شبه القارة الهندية في مطلع الخمسينات..

يقول الباحث يورغن نيلسون الأستاذ في معهد الدراسات الإسلامية في بيرمينغهام في دراسة له حول المسلمين في بريطانيا وتحمل هذه الدراسة عنوان (المهاجرون وتمركز المسلمين في بريطانيا):
(كانت هجرة المسلمين إلى بريطانيا بادئ الأمر هجرة اقتصادية، أي البحث عن العيش، ثم تطورت هذه الهجرة مع مرور الزمان وأخذت طابعاً آخر، فأصبحت هذه الهجرة تبحث عن هويتها الدينية والثقافية وتعمل من أجل صيانة شخصيتها وشخصية أبنائها خوفاً عليهم من الذوبان والانصهار في المجتمع البريطاني المسيحي) (٥٢).

عدد المسلمين البريطانيين

تعد بريطانيا الآن مجتمعاً متعدد الأعراق والثقافات والديانات، حيث يحتوي المجتمع البريطاني على عدة مجموعات عرقية وقومية ودينية، من بينها نحو مليون مسلم..
ويعتبر المسلمون من أكبر المجموعات بين الأقليات الدينية في بريطانيا وفي أوروبا بكاملها، وغالبية هؤلاء المسلمين التي تقدر بنحو ٤٠٤,٠٠٠ نسمة أصلها من باكستان، وهناك مجموعات لا بأس بها من بنغلادش والهند وقبرص وماليزيا ومن البلاد العربية ومن بعض أجزاء أفريقيا.
وهناك عدد متزايد من المسلمين الذين ولدوا في بريطانيا بالإضافة إلى أعداد قليلة من المسلمين البريطانيين الأصليين معظمهم من الذين اعتنقوا الإسلام في السنوات الأخيرة (٥٣).

المساجد والجمعيات الإسلامية

شيد أول مسجد في انكلترا عام ١٧٦١ في بلدة (سرى) حيث أقامه المعماري الإنجليزي سير (وليام

٥١ - هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / احمد حامد/ ص ٤٧.

٥٢ - الإسلام في أوروبا الغربية/ سعدي بزيان/ ص ١٧-٦٨.

٥٣ - الأقليات المسلمة في الغرب/ تحرير سيد عابدين/ ص ٥٧.

تشامبرز) على نظام المساجد ذات الفن المعماري العثماني، لكنه نسي أن يقيم المحراب في المسجد.. ويعتبر هذا المسجد أول مسجد أقيم في أوروبا..

وتوالى المساجد بعد ذلك، حيث اهتم المسلمون الهنود بينها، باعتبارهم أغلبية السكان.. وأشهر هذه المساجد وأهمها مسجد (شاه جيهان بوكنج) (٥٤).

وتذكر بعض الدراسات أنه في سنة ١٩١٢ افتتح مسجد للمسلمين في مدينة كارديف. وحتى نهاية عام ١٩٦١ لم يكن في بريطانيا سوى تسعة مساجد، وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ ظهرت أربعة مساجد أخرى..

وحسب دراسة بريطانية أنه منذ سنة ١٩٦٦ وحتى نهاية ١٩٧٤ بلغ عدد المساجد في بريطانيا ٨١ مسجداً وتضاعف العدد سنة ١٩٨١ إلى ٢٠٣ مسجداً..

وقد أنشئت أول جمعية إسلامية في بريطانيا عام ١٨٨٦ (٥٥).

وفي العام ١٩٣٥ تأسست في الحي الشرقي من لندن جمعية تدعى (جمعية المسلمين) هدفها الأساسي هو جمع التبرعات لتسهيل أمور المسلمين في أداء شعائهم الدينية في بلد مسيحي..

أماكن تواجد المسلمين في بريطانيا

يتوزع المسلمون اليوم على المدن الصناعية الكبرى مثل: لندن - مانشستر - بيرمينغهام - برادفورد، حيث يوجد في لندن وضواحيها ٥٢١٩٢ باكستاني، و٢٨٨٨٨ من بنغلادش. وفي برادفورد والتي يبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠٠ ألف نسمة منهم ٦٠ ألف مسلم، في حين إن إحصاء آخر يتحدث عن ألف مسلم و٣٨ مسجداً ومركزاً إسلامياً ومدارس لأبناء المسلمين المقيمين في هذه المدينة..

ومن أبرز المدن البريطانية نجد مدينة بيرمنغهام تحتضن أكبر جالية إسلامية لا في بريطانيا بل في مختلف مدن أوروبا الغربية، ويعيش في هذه المدينة ٥٤٨١٩ باكستاني و٨٢٤٨ من بنغلادش، وتضم مدينة مانشستر ٢٥٥٧٢ باكستاني مقابل ٥٤٣١ من بنغلادش، وفي ويست يوركشاير ٥٥٥٦ من باكستان و٣١٨٧ من بنغلادش (٥٦).

الشيعة في بريطانيا

أقيم أول مجلس عزاء حسيني في بريطانيا في العام ١٩٦٢ وذلك في (ريجننت موسك) القديم قبل أن يهدم ويبنى من جديد، وكان قبل ذلك قصراً لأحد اللوردات.. وكان عدد الشيعة قليلاً في تلك الفترة..

يذكر السيد الشهرستاني أن أول من قرأ واقعة عاشوراء هو البريطاني (عبد الله بنس هوبت) ولهذا الرجل

٥٤ - هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / أحمد حامد/ ص ٥٠.

٥٥ - هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / أحمد حامد/ ص ٥٠.

٥٦ - الإسلام في أوروبا الغربية / سعدي بزيان/ ص ٧٠.

قصة، حيث كان كولونيلاً في الجيش البريطاني وعاش في العراق لمدة خمس سنوات.

وفي أثناء إقامته هناك تعرف على مراسم العزاء الحسيني التي كانت تقام في المدن العراقية.. ولاحظ أن كثيراً من الشيعة يذهبون لزيارة المشاهد المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، مما أثار حب الاستطلاع لديه الأمر الذي دفعه لدراسة الإسلام، وانتهى إلى اعتناق الدين الإسلامي على المذهب الإمامي الاثني عشري وهو ما جعله محط اهتمامه فيما بعد، ولذلك عندما عاد إلى بريطانيا حرص أن تقام هذه المجالس وكان أول من قرأ رواية مصرع الحسين في العاصمة البريطانية.

في العام ١٩٦٩ تأسست الإدارة الجعفرية على يد (جمعية الشباب المسلم)، تلاه المجمع الإسلامي الذي أسسه المرجع الكلبايكاني وكان مركزاً لتجمع الجالية الإيرانية.

وبسبب هجرة الكثير من أبناء المسلمين كالعراقيين والباكستانيين والهنود (الخوجة) والإيرانيين واللبنانيين في أواخر الستينات وبداية السبعينات، فقد أدى ذلك إلى تزايد أعدادهم بحيث لم يعد ممكناً معه أن يضمهم مركز واحد..

لذلك أخذت كل جالية بإنشاء مركز خاص بها. ومع نمو العدد وتوزع المهاجرين على معظم المدن البريطانية، فقد تزايدت أعداد المراكز الإسلامية والحسينيات. ومن هذه المدن بيرمنغهام ومانشستر وليدز وليفربول وادنبره وكلاسكو وكارديف وسوانزي وغيرها من المدن الأخرى..

ومن هذه المراكز المعروفة: المركز الإسلامي - ودار الإسلام - ومركز أهل البيت - وموكب أهل النجف - والمجلس الحسيني - وحسينية الرسول الأعظم - ومركز ستانمور - ومحفل علي - ورابطة أهل البيت - والمعهد الإسلامي..

وتقام في لندن سنوياً مسيرة حسينية في اليوم العاشر من المحرم، وتنطلق من الهايدبارك وتنتهي بالمجمع الإسلامي، ترفع خلالها الأعلام والرايات السود التي تعبر عن الحزن في هذه المناسبة.

شخصية العدد

الاستاذ الخطيب الشيخ علي حيدر المؤيد

ضمن لقاءاتها مع الشخصيات الإسلامية والخطباء تغتنم مجلة (الكلمة الطيبة) فرصة اللقاء بالخطيب الحسيني الشيخ علي حيدر المؤيد لتحاوّر سماعته حول ما يدور من أسئلة وإشكالات تُثار في بعض الأوساط على المنبر الحسيني ودوره في حياة المسلم المعاصر.

الشيخ علي حيدر المؤيد في سطور:

هو الخطيب الشيخ علي بن حيدر بن علي بن باقر المؤيد الحائري. ولد في كربلاء سنة ١٣٦٨ هـ، ونشأ في عائلة متوسطة الحال غنية بإيمانها وتقواها وحبها لأهل البيت (عليهم السلام). درس مناهج المرحلة الابتدائية في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الأهلية ومن ثم انتقل إلى دراسة العلوم الدينية في الحوزة العلمية بكربلاء.

فدرس السطوح على يد نخبة من العلماء الأعلام منهم: الشيخ محمد بن المازندراني، والسيد محمد كاظم الحسيني، والسيد محمد السيد مرتضى الطباطبائي، والشيخ جابر العفكاوي، والسيد عبد الرضا المرعشي الشهرستاني والشيخ عبد الرضا الصافي، والشيخ جعفر الرشتي، والسيد مرتضى القزويني، وغيرهم. كما درس الخطابة على يد الشيخ عبد الزهراء الكعبي الخطيب الشهير.

انكب على المطالعة فقرأ كتب التراث ودواوين الشعراء القدامى، ثم ارتقى منبر الخطابة في كربلاء حيث عقدت له المجالس الحسينية، وراح يشنف الأسماع بخطبه الغراء وكلامه الرصين الذي ينبع من تتبعه المتواصل وجهده الدؤوب وصفاء قريحته ودقة تحقيقه ومراجعته للكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تخص سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

ولم تنحصر مجالسه تلك في كربلاء بل تعدت إلى الكويت والبحرين وعمان وإيران وسورية ولبنان وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية. ولا يزال إلى يومنا هذا يحظى بشرف ارتقاء المنبر في دول الخليج وغيرها. وتتميز خطابته بالقدرة على معالجة مختلف المشاكل والقضايا الاجتماعية التي تمس واقع الإنسان المسلم، وبث روح التقوى والإيمان في صفوف المجتمع، يستلهم ذلك من تعاليم أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم.

له باع طويل في تشييد المؤسسات الدينية والمساجد والحسينيات حيث قام بتأسيس مشاريع عديدة منها مسجد الإمام الحسين (عليه السلام) في مدينة قم، وساهم بتأسيس حسينية أهالي كربلاء في الكويت باسم (حسينية الرسول الأعظم) وحسينية (السيدة زينب) لأهالي كربلاء في مدينة قم أيضاً. كما قام بإنشاء مؤسسة دينية لتحقيق وطبع الكتب الإسلامية التراثية سماها (مؤسسة الثقلين). وقد وفق في تحقيق وطبع كتاب (اليقين والتحسين) للسيد ابن طاووس.

وهو إلى جانب ذلك رفيع الأخلاق، جميل المعاشرة، متواضع، محبوب، ذو أسلوب سهل وبيان واضح، وغيره على نشر العلم والمعرفة. وهو مؤلف مسلم له بالبراعة، يمتاز بسعة الاطلاع الذي مكّنه من تأليف عدد من الكتب، أهمها:

- نبي ووصي ووصايا (بيروت ١٩٩٥ م).

- الألفين في أحاديث الحسن والحسين (أربعة مجلدات).

- المجالس التاريخية.

- المواقف.

- الحاج في الحرمين (الكويت ١٩٩٤).

- الفاطميات (مجموعة شعرية كبيرة).

- بين محمد وعلي.

- الإمام الحسين والقرآن.

- الموعظة الحسنة.

- بين علي وفاطمة.

- الأربعينيات.

- تاريخ أولاد الأئمة.

له مكتبة ضخمة تضم مجموعة كبيرة من الموسوعات العلمية والأدبية والتاريخية، وفيها مخطوطات جمعها من مختلف بلدان العالم، جعل لها فهرساً من عدة مجلدات.

الكلمة الطيبة: سماحة الشيخ المؤيد، نحن نعلم أنكم من الخطباء القديرين، ولكم باع طويل في الخطابة التي تعتبر من المجالات الدينية الحيوية والهامة.. هل لكم أن تحدثونا عن هذه التجربة ودورها في ترسيخ المفاهيم العقائدية لدى عامة الناس؟

الشيخ المؤيد: الخطابة مجال كبير له مقومات ومبادئ أساسية وفرعية. وقد عرفتُ - بحكم علاقتي القديمة بهذا المجال - أن الخطابة لها ارتباط وثيق بالجانب الروحي والمعنوي.

ولا يمكن للخطيب أن يفوز بسعادة الدارين - الدنيا والآخرة - ما لم يركز على الجانب المعنوي في عمله الخطابي.

نعم. لا بأس أن يعمل الإنسان لدنياه وآخرته، فيراعي ما يضمن له آخرته وما يعينه على متطلبات حياته، وهذا ما اهتم به الصالحاء من الماضين (رحمهم الله).

والخطابة طريق لمعالجة أمور الدنيا ودفع الناس لما يصلح لهم أمر دينهم وآخرتهم. وكان للخطابة - عبر المجالس الحسينية - في مذهبنا دور كبير في تربية أجيالنا. فقد اهتمت بتنشئة كل جيل على ضوء فكر أهل البيت (عليهم السلام) وسعت لترسيخ المفاهيم العقائدية الصحيحة ودفع الأباطيل والشبهات التي تأتي من هنا وهناك، وواجهت بصلابة الانحطاط الفكري والأخلاقي الذي تتبناه التيارات المنحرفة. وقد اهتمت بالإضافة لذلك - بتكريس القيم الإسلامية والأخلاق الحميدة ومبادئ الدين الحنيف.

وجدير بالذكر أن الخطيب يمرّ بمراحل صعبة في حياته الخطابية تبتدئ بضرورة الاهتمام بكلام الله والمعصومين (عليهم السلام) والسعي لاستجلانه وفهمه بدقة، لكي يقدر على الاستفادة منه وتقديمه للمؤمنين والسعي لتطبيقه.

وعليه - في المرحلة الثانية - أن يسعى لتجسيد ما يطلبه من الناس، ثم يجب عليه أن يكون صادقاً مع ربه ومع نفسه ومع الناس ومع أهل البيت (عليهم السلام) الذين يطمح في نشر علومهم وسيرتهم...

الكلمة الطيبة: يلاحظ في الخطاب الديني غياب الجانب الاجتماعي (مثل مشاكل الشباب كالزواج والعمل والتعامل) فلماذا لا تعالج مثل هذه الموضوعات على المنبر الحسيني؟

الشيخ المؤيد: هناك قاعدة أساسية ذكرها القرآن الكريم بهذا الصدد حاصلها: أن الإنسان إذا نسي آيات الله ولم يعمل بأحكامها سيؤول أمره إلى ما لا يُحمد عقباه. يقول الله عز وجل: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا).

ولعل الكثير من مشاكل عصرنا الراهن هي نتيجة طبيعية للإعراض عن الحق والابتعاد عن الله والخطابة الدينية واجهت هذه المشاكل وطرحت معالجات جادة لها بكل إصرار وعزم إلا أنها تحتاج إلى جدية أكثر وصلابة أشد للوقوف بوجه التيارات المنحرفة، كما أن هذا الطرح يعتمد على أسلوب الخطيب ودرجة تماسه مع مشاكل المجتمع عموماً والشباب بصورة خاصة.

الكلمة الطيبة: لماذا نلاحظ عزوف قطاعات واسعة من الشباب عن حضور المجالس الحسينية كما نلاحظ في بعض المناطق الدينية على عكس ما كانت عليه مدن النجف وكربلاء والكاظمية مثلاً. ما هي - برأيكم - الطريقة المثلى لإعادة الشباب إلى حضور تلك المجالس وتفاعلهم مع القضايا المطروحة فيها؟

الشيخ المؤيد: إن انبهار شبابنا بإنجازات الغرب، والتقدم العلمي والصناعي الكبير الذي تشهده الدول المتقدمة، إضافة إلى الاستبداد في الحكم الذي ينتشر في جميع الدول الإسلامية.. قد أثر بصورة وأخرى في ذهنية الشباب المسلم وطريقة تفكيره.

ومع الأسف، إن شبابنا لم ينظر إلى الحضارة الغربية إلا من زاوية واحدة، وأهمل مسائل عديدة مهمة جداً في إعطاء الحكم الصحيح على الحضارة القائمة في يومنا هذا.

فهو لم ينظر إلى هذه الحضارة وهي ترتكب أبشع صور الظلم والقتل والإجرام في سبيل مصالحها.. ولم ينظر إلى حياتهم الفارغة التي لا تجد فيها إلا الاهتمام بالمال والشهرة والجنس الذي استغل في عصرنا بصورة يندى لها جبين الإنسان الطاهر والفطرة السليمة.

فلينظر شبابنا إلى الخلاعة والمجون والفسق والفجور - بما لا حد له ولا حصر - تغزو بيوتهم وشوارعهم ودوائرهم وكل صغيرة وكبيرة في حياتهم، حتى بات البعض منهم بلا أدنى غيرة وشرف بل يتفاخرون به ويعدونه من علانم الرقي والتقدم.

وأسفنا الآخر، أن شبابنا - من جهة أخرى - لم ينظر إلى دينه وتراثه وقادته بشكل صحيح. فقد قصر نظره على السلبات التي وقعت بسبب الابتعاد عن أحكام الإسلام وبسبب بعض المنافقين ممن اتخذوا الدين غرضاً. ونسي أنه ابن (الإسلام) قبل أن يكون ابن (المسلمين).. ذلك الدين الذي من يبتغ غيرَه فليَنُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

إن اهتمام الخطباء بطلب العلم والاستزادة منه، والسعي للاستفادة من العلوم الحديثة، والاطلاع على مجريات الأحداث في العالم، إضافة إلى شدة الاهتمام بالبيان المبسط ووحدة الموضوع الذي يطرحه الخطيب.. يمكن أن تكون عوامل مهمة لجذب الشباب.

الكلمة الطيبة: نلاحظ وجود عدد من الخطباء الذين يحاولون تحقيق أمجاد شخصية لهم من خلال المنبر على حساب القضية الرئيسية التي وجد من أجلها هذا المنبر المقدس، كطرح بعض الاجتهادات الشخصية وإعطائها

صفة اليقينية المطلقة. كيف يمكن برأيكم معالجة مثل هذه الظاهرة والتي يخشى أن تتحول إلى منهج ثابت في أساليب الخطابة الحسينية؟

الشيخ المؤيد: لكل خطيب أسوة وقدوة يتأثر بها في حياته ومنهجه، ومن هنا يظهر دور المربي والأستاذ فإذا كان المربي مهتماً بالقضايا الأخلاقية والعقائدية فيؤثر في تلاميذه ويترك أثراً إيجابياً وصحيحاً، والعكس بالعكس.

ولا ننسى أنه لابد للخطيب من أن يجعل أمامه الثوابت والخطوط الحمراء التي حددتها الشريعة وقام عليها السلف الصالح، فليس له أن يتجاوزها من أجل أغراض شخصية أو يتسرع في حكم أو مقال بلا تحقيق ومراجعة لأهل الخبرة فإن سرعة الاسترسال لا تستقال كما في الرواية الشريفة. وهذا الأمر يدعو الخطباء الأفاضل إلى المزيد من الجهد في كسب العلم والتحقيق من أهله لا من غير أهله.

الكلمة الطيبة: في فورة تطور وسائل الاتصالات المرئية والمسموعة وغزوها للإنسان في عقر داره، هل استطاع المنبر الحسيني مواكبة هذا التطور الحاصل والاستفادة من تقنياته التي تخاطب كافة شرائح المجتمع؟ أم إنه لا يزال على أساليبه التقليدية؟ وما هي الكيفية التي يمكن من خلالها الانتقال إلى هذه المرحلة؟ الشيخ المؤيد: تطرقنا إلى هذا الموضوع في الأسئلة المتقدمة وهنا نؤكد أن المجالس الخطابية قد واكبت هذا التطور بدرجة ضئيلة، وينبغي لنا أن نقوم بخطوات أسرع للاستفادة من وسائل الإعلام العالمية مثل الإنترنت والفضائيات، وذلك للحاجة الماسة والطلب المتزايد.

الكلمة الطيبة: سماحة الشيخ هل من كلمة أخيرة إلى الخطباء الشباب باعتباركم أحد الأساتذة في هذا الفن الإسلامي العريق؟

الشيخ المؤيد: ملاحظة أخيرة إلى إخواني الكرام.

أولاً: أن لا ينسوا الأساتذة والسلف الصالح الذين جاهدوا في سبيل الله حتى أوصلوا إلينا هذا الدين الحنيف بشكل صحيح ولا ينسوا جهودهم المضنية وأعمالهم الخيرة وأن يحيوا ذكراهم.

إذا كنت تهوى القوم فاسلك طريقهم فما وصلوا إلا بقطع العلائق
وما حمل الهندي وهو حديد على الكتف إلا بعد دق المطارق

ثانياً: أوصي نفسي وإخواني الأعزاء أن يكثرُوا من ذكر الله العظيم ويكون عملهم له عز وجل خالصاً ومخلصاً.

ثالثاً: أن يستزيدوا من العلم والثقافة وأن يهتموا بأن يكون لهم باع واسع في الأحاديث والروايات والفقه والأصول، ويدخلوا المجتمع والبيوت من أبوابها حيث قال الله تعالى: (وأتوا البيوت من أبوابها).

ولا يفوتني هنا أن أطلب من أساتذتي ومن زملائي في مجال المنبر الحسيني (أيدهم الله تعالى) أن يهتموا بتدوين ما يلقيون من الخطب والمواعظ حتى تتحول الكلمة المسموعة إلى كلمة مقروءة وتبقى على مدى العصور بإذن الله مصداقاً لقوله تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها).

أشركم على هذه الفرصة واللقاء وفقكم الله لكل خير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قراءة في كتاب

العمل الأدبي

عقيل أحمد

كتاب (العمل الأدبي) واحدة من أروع النتاجات الأدبية التي أتحت المكتبة الإسلامية والعربية، من يراع الشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي، وقد أثار إعجاب الكثيرين من الكتّاب والأدباء الذين عاصروه وجاءت قراءتنا هذه على شكل عرض لمحتويات الكتاب للاستئارة بالانتقادات التي انفراد بها سماحة السيد الشهيد في كتابه القيم لنكشف بعضاً من تلك الدرر التي حفل بها هذا السفر الأدبي.

تمهيد

يباشر المؤلف نظريته بتحديد العمل الأدبي بأنه (التعبير الموحى عن تجربة شعورية) وهو يذكر (مواد التعبير الأدبي) بالتفصيل في بعض أنواع الفنون الأدبية المعروفة: كالشعر، والقصة، والأقصوصة، والتمثيلية، والسيرة، والخاطرة، والمقالة، والترجمة، والخطابة والبحث، وتلك التي سماها بـ (فنون الإنشاء الأدبي) وهي تتناول - بتعبير الأقدمين -: المكاتب، والمناظرة، والمثل، والوصف، والمقامة، والرواية، والتاريخ. أما موارد الشعور الأدبي فهي الأركان الكبرى في مجمل التاريخ الإنساني وتأملاته، وهي في رأيه: الله، الإنسان، الواقع، القدر، العقيدة، العاطفة، الجمال. ويقيم المؤلف خط العمل الأدبي على ثلاث ركائز هي: فلسفة الأدب، وإسلام الأدب، وهدف الأدب. وقد ركز المؤلف على أثر الإسلام في الأدب وضرورة توجيه الأديب لخدمة لقاء أدبه بالدين الحنيف.

العمل الأدبي

يرى المؤلف أن العمل الأدبي يصدر عن تجربة شعورية لا هي ذهنية ولا هي تاريخية. فالعمل الأدبي يسع كل تعبير جميل مهما كان موضوعه. فالمادة المعروضة ليست مناط الحكم وإنما المناط هو (التجربة الشعورية). فالأديب العظيم، يضيف بعد موته إلى رصيد البشرية كونا عظيماً لم يسبق لإنسان أن رآه. وكل لحظة يمضيها القارئ مع الأديب هي رحلة متميزة الخصائص والسمات. فإذا استطاع (العمل الأدبي) فعل المعجزة في إيجاد العوالم المثالية التي لم يحلم بها الإنسان، فهو جدير بأن ينفق الإنسان في سبيله ما استطاع من وقته المحدود.

تقييم العمل الأدبي

يشارك في إخراج (العمل الأدبي) كل من الشعور والتعبير بتأثير المؤثرات الخارجية، مع الأخذ بالاعتبار إن القيمة التعبيرية لا يمكن إبرازها إلا بوجود التجربة الشعورية التي هي قوام (العمل الأدبي). والحقيقة إن كليهما متلازمان واقعاً.

وإذا كان الأديب متحرراً من التقليد - لأن التقليد يشوش شعور الأديب فيصبح نتاجه مرتبكاً - فنراه يمتلك كونا شعورياً مستقلاً يطرح بإبداعه طابعه الخاص الذي يظهر انعكاس سلوكه، وبينته، وإرادته، ومعاناته على شخصيات أبطاله في عمله الأدبي. ولا تظهر هذه الحالة في القصص والروايات فقط، بل إن النقاد المعنيين بالتحليل النفسي يجرونها حتى في كتابة (التراجم) و (التواريخ العامة).

فالمتنبى لم يعرف في حياته الخيل ولا الليل لأنه كان مسالماً إلى حد الاتهام بالجبن، إلا أن قلمه كان شجاعاً، فنراه يقول:

الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فهو لم يكتب قصيدة إلا غنى فيها بالمشرفية والعوالي، فطريقة شعوره بالنقص تعكس تعبيره اللفظي في إخفاء ذلك.

وعلى العكس من ذلك نرى (ابن الرومي) مغنياً بالوجدان يعيش في الحقائق والرياض وبين القيان والغلمان:

برياض تخاليل الأرض فيها خيلاء الفتاة في الأبراد
منظر معجب، تحية أنف ريحها ريح طيب الأولاد

ولكن لا نعثر على (المعري) إلا في جحيم كله خداع ونفاق ويأس لا رجاء فيه. أوليس هو المنبوذ والفقير والأعمى وقد سلخ شطراً من عمره في السجن، فطبعي أن يقول:

ظلم الحمامة في الدنيا - وإن حسبت في الصالحات - كظلم الصقر والبازي

فالأديب يمنح قدرة الاتصال بواقع الحياة ليطلع غيره على الخفايا والضمان، ورسالته أن يفتح المنافذ بين الناس والواقع. والقيمة الشعورية للأديب تقدر بمدى اطلاعه على الواقع. والقيمة الأدبية تقدر بمدى كشفها لذلك الواقع.

القيمة التعبيرية

(العمل الأدبي) لا ينتهي بتفريغ شحنة شعورية في مشاعر المستمعين حتى تنتهي عند الدلالة اللغوية للألفاظ. فالأديب لا يحاول توضيح حقيقة مجهولة للناس أو محاولته تعليمها لهم بل إنه يحاول توجيه الجماهير لإحياء حقيقة يعرفونها، ويؤمنون بها، فيضطر للاستعانة بكافة المؤثرات التي تستحوذ على مشاعر الآخرين لدفعهم إلى هدفه.

ويستخدم الأديب الألفاظ المعبرة عن مشاهداته وذاكراته بطريقتين:

(الأولى): أن ينفعل الأديب بالتجربة الشعورية، فتطلق الألفاظ وكأنها تفعل ذلك بإرادتها لا بإرادة الأديب.

وهذا ما قاد العرب إلى الإيمان بأن لكل شاعر (شيطانياً) أو (جنياً) يوحى إليه الشعر.

(الثانية): أن يختار الأديب نفسه صياغة العبارات، بإرادة واعية لا يرتقها شروء. ومن الصعب وضع قواعد تفصيلية للتعبير لكثرة الألفاظ، وكثرة المعاني الشعرية. والقرآن يسعفنا بالنظائر، أكثر مما تسعفنا أعمال البشر، فقد يستقل لفظ واحد، برسم صورة حية لمعنى ثقیل لا بمحتواه المجرد، بل بجرسه تارة، وبظله تارة أخرى، وبالجرس والظل معاً تارة ثالثة.

ونختار بعض النماذج الخصبة من القرآن العظيم التي جسّد الإيقاع والصور والظلال في العبارة: (والضحى
والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً
فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك
فحدث).

فالجو - هنا - يتكامل من أربعة فصول:

١ - فصل اليمين بأبهج ما في الوجود. للتأكيد على كل ما يأتي بعده.

٢ - فصل الوعود المطمئنة.

٣ - فصل استعراض الهدف لتحقيق الموافقة عليه.

٤ - فصل التذكير بالتجارب السابقة، التي تؤكد صدق ما سبق.

فالقرآن يتكلم لتركيز أهدافه العظيمة، ولا يستشهد بشيء ولا يتمسك بدليل، وإنما يمرّ على الشواهد والأدلة مرور الموكب الملانكي فيدمج كل شيء في كلامه ليكون من كلامه أكبر الشواهد وأقوى الأدلة، بينما يقف الشعر من كل شيء موقف التملق المسبح وإليك نموذجاً:

مكرّ، مفرّ، مقبلّ، مدبرّ معاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل

فمشهد الفرس المشعبذ الحركات في المعركة، يتعثر ويصطدم بالخيول والجثث، ولكن قوّته تذلل العثرات والصدمات فيواصل حركاته النشطة، كالجلمود الذي يسقط من شاهق ولا يعوقه اصطدامه بالصخور لاندفاعه بقوة السيل من القمة إلى السفح.

وأخيراً يأتي المؤلف بـ (طريقة تناول الموضوع، والسير فيه) ليكون الخاتمة في (القيمة التعبيرية) وهي تختلف باختلاف فنون الأدب. بالاتجاهات الأدبية على نوعين:

الأول: النوع (الفكري) الذي لا ينقل انفعاله للآخرين، وإنما يحاول أخذ المشاهد والتجارب الجزئية للتخلص منها إلى نتيجة فكرية.

الثاني: النوع (الشعري) الذي لا يهتم الاستنتاج، بقدر ما يهتم نقل انفعالاته للآخرين حتى يعيشوا مشاهداته وتجاربه، كما عاشها.

فمهمة الأدب، عرض التجارب والانفعالات ووصف جزئياتها خطوة خطوة. أما إذا ألقيت النتائج بلا إعداد فالقراء يتلقونها ببرودة، لأنها تمرّ عليهم سريعة لا تسمح لهم بوعي التجربة حتى تثير مشاعرهم.

تقسيم العمل الأدبي

وقام المؤلف بتقسيم (العمل الأدبي) إلى عنصرين هما التعبير والشعور. فـ (التعبير) مركب من عدة جزئيات

أولية هي: اللفظ، والنغمة، والنسق. و(الشعور) بجزئياته التي هي: المشاعر، والعواطف، والتجارب الشعورية. أما مواد عنصر التعبير فهي: الشعر، القصة، التمثيلية، الترجمة، السيرة، الخاطرة، المقالة، البحث، والخطابة. فلنأتي بالإشارة لكل منها:

الشعر: أقوى فنون (العمل الأدبي) ويظن أنه أول تعبير فني أنجبته البشرية. وهو أكمل مصاديق (العمل الأدبي). ويتميز الشعر العربي بالإيقاع المقسم والقافية.

وأما الملحمة فهي ترنم ببطولات ارتفعت فوق المستويات العادية وإن كانت مدرجة في الملقات التاريخية. المهم أنها متى صدمت العاطفة البشرية أحدثت فيها انفعالات قوية مؤثراً.

القصة والأقصوصة: القصة من الناحية التعبيرية تعرض الحياة المنطلقة كما تمر في الخارج بجميع جزئياتها وتفصيلاتها.

وقد تأثرت القصة بالاتجاهات السياسية والذهنية التي تعالج الصراع الاجتماعي والتحليل النفسي، فكادت تخرجها عن الفن وهو العمل الشعوري.

أما الفرق بين القصة والأقصوصة فليس الحجم بل المحيط الذي يكتنفها. فالقصة تعالج هدفاً ولا يشترط بالأقصوصة ذلك وإنما تدور في محيط ضيق لمجرد إبراز مشاعر الكاتب.

التمثيلية: وهي كالقصة تصور فترة من الحياة بكل جزئياتها وبلغتها مناسبة للجو، والحادثة، والشخصية إلا أنها تخضع لقيود، مثل:

- ١ - أن تكون قصيرة.
 - ٢ - أن تكون قابلة للعرض في مجال محدود.
 - ٣ - يشترط فيها الالتزام بطريقة الحوار.
 - ٤ - أن تكون لغة الحوار مناسبة لمستوى شخصيات التمثيلية.
 - ٥ - أن تتقيد بمكان محدود.
 - ٦ - من ناحية الممثل أن يستطيع أداء دوره في حدود الطاقة الإنسانية وأن تشمل على حركات عنيفة يتمكن الممثل من إبرازها في أعمال منظورة متوالية... إلى قيود وشروط أخرى.
- الترجمة: ولها عنصران: عنصر تهيؤي وعنصر أدائي.

فلا بد لمن يحاول ترجمة شخصية ما، أن يستوعب حياتها بجميع ظروفها وحالاتها النفسية وملابساتها الخارجية ويهضمها حتى يتأثر بها، ويطبّقها على تجاربه وتجارب الإنسانية، ثم يضعها على الورق. وليست الشخصية الإنسانية وحدها هي التي تحتل الترجمة، فالأنهار والحقول والمدن والدول والنجوم والجبال وكل شيء عاش فترة من الأزمات والأحداث يمكن تصويره كأنناً حياً نما نمواً عضوياً، وتعاطف مع الكون والحياة والأحياء.

السيرة: وهي استعراض لحياة شخص. ويشترط في كتابة السيرة، الاستطراد في سرد الحوادث كما وقعت لا كما يصورها الكاتب.

الخاطرة: وهي في النثر تشابه القصيدة الوجدانية في الشعر مع الاختلاف في الوزن والقافية. والخاطرة هي تجميع المشاعر المتناثرة حول تجربة شعورية، والتركيز فيها على الصور اللفظية الموحية، التي تتفق بإيقاعها

وظلالها مع الجو الشعوري الذي يهيج الكاتب.

المقالة: وتعتمد على الكلمة الراقصة والعبارة المنغومة. وهي فكرة واعية وموضوع يعالج قضية تؤدي إلى غاية مرسومة من أول الأمر. وهي لا تهدف إلى الانفعال الوجداني، وإنما تحاول الاقتناع الفكري لأنها تشرح فكرة وتحشد لها الأدلة والأسانيد حتى يخرج القارئ منها ممتلئاً بفكرة لا متأثراً بعاطفة.

البحث: وهو الذي يتناول موضوعاً من جوانبه المختلفة، وينظمها فصولاً متسلسلة يجعل كل فصل مقدمة لفصل آخر، ويجعل المجموع مقدمات متدرجة تنتهي إلى غايتها في نهاية البحث. والفرق بين المقالة والبحث: أن المقالة تعالج فكرة واحدة بينما يعالج البحث جزءاً من فكرة في كل فصل فيه حتى تتعاون الفصول كلها لإكمال تلك الفكرة.

الخطابة: الخطابة لا تترسل بالبراهين العلمية. فأكثر الناس عاطفيون ويستسيغون اللغة العاطفية فيضطر الخطيب للتوسل بالأدوات الشعورية للسيطرة العاطفية على الجماهير. وهذا ما أجبر الخطباء على توفير أكبر قدر من القيم الشعورية واللفظية على موضوعها قبل عرضه على الجماهير. فالخطابة من فنون الأدب التي أعلن علماء المنطق خروجها عن لغة العلم وتشبثها بلغة الشعور.

مسؤولية الأديب

كانت رسالة الأديب سابقاً، أن يطرب ويعجب، دون أن يفرض على نفسه مسؤولية إصلاح المجتمع. إن أدب الأمس كان حرفة للتقرب إلى الأمراء. وأدب اليوم أصبح حكمة، ورسالة الأديب رسالة عميقة جداً ومسؤوليته لا يتحملها إلا المخلص.

والأدب الفذ هو التجاوب بين شعور الأديب، وحسّ الجمهور. وعلى ضوء ذلك فإن فكرة الأدب عملية ذات أوجه ثلاثة متداخلة هي: التلقي، فالانفعال ثم التلبية الإيجابية. فبدون التلبية النهائية يصبح العمل الأدبي رومانتيكياً بليداً.

مواد الشعور الأدبي

كل ما في الكون هي مواد للشعور الأدبي. وما دام الاتزان والشمول هو الهدف، فالواجب السير على ضوء الإسلام في تحديد مواد (الشعور الأدبي) والاكتفاء بالبحث عن المواد التالية: الله.. الإنسان.. الواقع.. القدر.. العقيدة.. العاطفة.. الجمال..

خط العمل الأدبي

لقد اكتسب الأدب العربي خبرة واسعة من التأثير بالتيار الأوروبي واستمداد الخبرة الفنية من الآداب المعاصرة. ولن يستطيع الأدباء حفظ شخصية الأدب العربي وطابعه إن لم يركزوه على قاعدة فلسفية. وليست هناك فلسفة واقعية للأدب العربي سوى الإسلام، فهو الفلسفة الأصلية التي تعطينا صفتنا الإنسانية وشخصيتنا

المستقلة وطابعنا الخاص.

فإذا سأل سائل: إنَّ الإسلام دين والأدب فن ولا صلة بينهما؟

فهذا السؤال ناتج عن فهم ناقص للدين والأدب. فحين ينطوي الإنسان ويمارس الوجود ممارسة آلية ولا ينفث لما فيه من الدفء والحركة والجمال، يكون قد كفر بالأدب. ولو عكس الأمر ولم يستجب لصلته بالله والكون والإنسان، ولا ينفث لمبادئه وروابطه وأهدافه، يكون قد كفر بالدين.

فالأدب لا يتحدث عن المواعظ والأخلاق والإسلام فقط، بل هو الناظر إلى الوجود والمعبر عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام، ويلتقي فيه الجمال والحق. فالأدب الذي تدور تطلّعاته في حدود حياته اليومية، أصغر قدراً في الموازين الأدبية من الأديب الذي تشمل تطلّعاته الكون والحياة والإنسان، وأوسع منهما الأديب الذي ينفث لهذا الكون الصغير وذلك الكون الكبير ويدرك ما بين الروح والمادة من ترابط وامتزاج.

هدف الأدب

ليس للأدب هدف معين يحاوله ولا يتعداه، ولا توجد منطقة مباحة للأدب، ومنطقة محرمة عليه، وإنما الحياة بكل ما تزخر به مشاعة للأدب، يتذوقها، فيتناول ما يطربه، ويمج ما لا يعجبه كالنحلة التي لا يحجبها سور ولا سياج فتقتحم كل حديقة وبستان.

نقد العمل الأدبي

لأن الفنون تقوم على (الإبداع) و (الذوق) وليست لها خطوط وخطط مدروسة مرسومة، تسير عليها وفقاً لمنهج واضح المبادئ والأهداف، فتكون كيفية تعتمد على الإشاعات أكثر مما تركز على القواعد. وليس دليل الفن (كتاب قواعد) وإنما هو (النقد) الذي يسير جنباً إلى جنب مع الفن في جميع مراحلته وخطواته، ويبيد توجيهاته وملاحظات، فيظل عكازة الفن، ومرشده، وخليه. والنقد لا يستطيع القيام بهذه المهمات، إلا إذا كان منزعاً من طبيعة الفن.

أمّا إقامة النقد الأدبي على الأساس الفلسفي، فقد يجدي في توسيع آفاق النظر إلى الأدب باعتباره تعبيراً شعرياً عن الحياة وغاياتها العليا وأهدافها العامة، وهو كفيّل برفع المستوى الشعوري للأدب، ولكنه غير مأمون على الجانب التعبيري له.

١ - النقد التاريخي:

هو محاولة اكتشاف تاريخ فن من فنون الأدب الذي ضاع تاريخه، من خلال ذلك الفن الأدبي نفسه. فإذا رغبت في دراسة مدى تأثر عمل أدبي بالوسط الذي نبع فيه، فاللزم أن نبحت عنها في النقد التاريخي، وللطريقة التاريخية قيمتها في حدود خاصة، لأنها تملك إيضاح بعض الملابس التي أحاطت بالعمل الأدبي، ولكنها لا تملك تفسير العمل الأدبي تفسيراً كاملاً.

والإشكال الوارد على النقد التاريخي: أن الأدب ليس تقريراً للظواهر الحاضرة، بقدر ما هو تعبير عن الأنشواق والرغبات البعيدة، فكثيراً ما يكون الأدب نبوة فائقة، لا تصدقها الظروف العادية، فالفرد الممتاز كثيراً

ما يسبق عصره، إلى حيث لا يمكن اتخاذه صورة لبينته، لا اعتباره نتاجاً طبيعياً لها.

٢ - النقد النفسي:

النفس هي القاعدة اللاقطة، والمكيّفة، والمرسلة، للمواد الأدبية. فنفس الأديب تتلقى الإيقاعات الكونية في (تجربة شعورية) وتكيّفها في (تعبير موح) وترسلها إلى المتلقي الذي هو نفس المستمع. وليس (النقد النفسي) إلا محاولة لتبسيط ما بين النفس والأدب من صلة وتجاوب. وللطريقة النفسية قيمتها في حدود خاصة.

٣ - النقد الأدبي:

وهو لا يحاول اكتشاف ظروف الأثر الأدبي كالنقد التاريخي، ولا اكتشاف نفسية الأديب كالنقد النفسي، بل يستعرض الأثر الأدبي محاولاً تقييمه، إعداداً لتعيين مكانه في خط الأدب. فهو ينظر للإطار العام للأثر الأدبي، وينظر إليه من ناحية اللغة والإعراب، ثم يفرز قيمتها الشعورية والتعبيرية. ويشترط في الناقد أن يمتلك ذوقاً أدبياً موهوباً، وإحاطة بعلوم اللغة والعروض والبلاغة، وموهبته على تحرير نفسه من اتجاهه الخاص، وأخيراً القدرة على الاستجابة للتطورات.

٤ - النقد الجامع:

إن كل قسم من أقسام النقد الثلاثة السابقة ينظر إلى العمل الأدبي المعروض للنقد من زاوية واحدة لا تحيط بجميع جوانب العمل الأدبي. وإن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يحتاج في وجوده إلى القسمين الآخرين. وأما النقد الكامل فهو النقد الجامع الذي يستحضر الأقسام الثلاثة لنقد النص المعروض، بشرط استخدام كل قسم بالمقدار الذي استخدم متعلقه في العمل الأدبي المعروض للنقد، دون أن نغفله حتى يكون على وشك الاضمحلال، ودون أن نسرف فيه حتى يطغى على القسمين الآخرين. وكما اشترط علماء البلاغة ملاحظة الأمور الخارجية في بلاغة الكلام، كذلك تنبهوا لملاحظتها حين النقد.

٥ - النقد الحديث:

في دور النضوج الذي بلغه الأدب العربي في العصور الإسلامية، نبغ في المسلمين رؤوس الأدباء والنقاد، فكانوا قمة الأدب والنقد، لأنهم كانوا قادة الاتجاه. وحيث انصرف الاتجاه العالمي إلى غير المسلمين في هذا الدور، نبغ في غير المسلمين الأدباء والنقاد، فلم يستقر المسلمون على أسس ثابتة من الأدب والنقد لأنهم كانوا أذئاب الاتجاه.

ولهذا بقي الأدب العربي طفلاً يدرج - وكذلك الأدب الحديث - فكثرت فيه الأخطاء. ولا يأمن الناقد أن يدخل هذا الميدان. فمن الأخطاء الشائعة أن الأدباء يسرعون إلى الارتكاز على النظريات والأسس الأجنبية للنقد رغم اختلافها عن النقد العربي. ومن تلك الأخطاء عناية الناقد لما في النص الأدبي من أفكار وعواطف، وجعلها الأساس في نقده نتيجة لتحمس الناس لها أكثر مما ينبغي. بينما يكيلون ألفاظ الذم جزافاً لنص أدبي جيد، يعاكس اتجاههم السياسي. ومن أخطاء الناقلين أنهم ينتقدون النصوص الأدبية وفق آرائهم الخاصة، لا على أساس القواعد الموضوعية للنقد.

فن العمل الأدبي

ويستمد فن (العمل الأدبي) عناصره من كافة المعارف البشرية، لأنه يتناول كل شيء، ولا يخرج عن مجاله

شيء، مهما كان موعداً في القبح والضالة، فكل شيء مادة الفن الأدبي. وأصول فن (العمل الأدبي) أربعة: موادّه وخواصّه وطبقاته ومحاسنه.

عمل الشعر

ولصياغة الشعر شروط، هي:

- ١ - حفظ الكثير من الشعر الجيد، حتى يطبع النفس بأنغامه وأساليبه، فتنشأ فيها الملكة.
- ٢ - الخلوة بالمناظر الطبيعية الحرة، التي ترد النفس إلى حالتها الطبيعية السليمة، فتمكنها من تنمية خواطرها في كلام رائع.
- ٣ - النشاط الفكري والروحي، وقد تختلف ساعات النشاط الفكري والروحي من فرد إلى آخر، ولكن الغالب أن تتفق مع ساعات الصباح المبكرة من الفجر.

عمل النثر

يعتبر في الكلام المسجع أمران:

- (الأول): تطابق مسافة الفصول، وأبعاد المواضيع، حتى يوحى ظل الكلام بحجم الموضوع كما يظهر في سورة (الواقعة) حيث المواضيع الطبيعية والوجدانية تلائم المسافات القصيرة، بينما المواضيع القصصية والعلمية تحتاج إلى المسافات الطويلة، كما في سورة (البقرة) وسورة (يوسف).
- (الثاني): تطور القافية بمقدار مناسب للمسافة والموضوع، حتى لا يبعث السأم والملل في نفوس المستمعين. فسورة (الصافات) تتناول موضوعاً طبعياً ظهرت فيه مشاهد سريعة عن أوضاع السماء وأحداث القيامة فكان الموضوع يلائم المسافة القصيرة.

الإنشاء الأدبي

وهو يشمل (النثر الأدبي) الذي يطلق على القصة، والتمثيلية، والترجمة، والسيرة، والخاطرة، والمقالة، والبحث، والخطابة. ويطلق الإنشاء اصطلاحاً على المكاتبة، والمناظرة، والمثل، والوصف، والمقامة، والرواية، والتاريخ.

المكاتبة: قال الأدباء: إن بلاغة الرسالة، تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته، ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة إلى المتكلم، فكل مقام مقال. ولاشك أن الكتابة فن، ولكنه فن شديد الصلة بالآخرين، فهي رسول القلب إلى القلب، وهي تختلف من فرد إلى فرد فلا تكون لها نماذج ثابتة يمكن استخدامها في كل مكان ولكل فرد.

المناظرة: وهي الحوار الدائر بين اثنين أو أكثر ولها جانبان. (علمي) وضع لتقنين (علم المنطق) وجانب (أدبي) وضع لتقنين (علم المناظرة).

المثل: هو العبارة المتضمنة لحكمة شائعة، والتي بلغت في قوة نصها وعمق محتواها مستوىً يستعين به المتكلمون ويختلف المثل عن الحكاية بأمرين:

- ١ - أن له مغزى بخلاف الحكاية فمن الممكن أن لا يكون لها مغزى.
 - ٢ - أن المثل غير واقع وإن كان في حيز الإمكان، بخلاف الحكاية فلا بد أن تكون واقعة.
- الوصف: وهو قد يتناول الأشخاص، وربما يستعرض بقية الأشياء الموجودة، وقد يصور الأشياء الخارجية منها، وربما يظهر الطباع والأفكار والتخيلات الحية في باطنها.
- المقامة: هي القطعة الأدبية الرائعة، التي يسكبها الأديب في قالب روائي يكون الهدف منه تربية فكرة أو تجسيد حكمة، وقد انتهى عصر المقامات بابتداء العصر الحديث، الذي توسعت فيه الأعمال حتى استنفدت نشاطات الناس، فلم تدع لهم فائض نشاط أدبي، ينصرف إلى المقامات وخاصة بعدما انتشرت الرواية التي لا تختلف عن المقامة إلا بضعف أدبها وقوة هدفها.
- الرواية: وتجري في بلاغة الرواية كافة المحسنات البلاغية، التي تجري في الشعر والنثر معاً، بإضافة عنصر آخر وهو عنصر (المباغلة) في الانتقال من الأحداث إلى مناقضاتها، بشرط أن يحكم (المباغلة) ارتباط جانبي حتى تبدو وكأنها اندفاع الأحداث، تنتهي بتقلبات مفاجئة، هنا وهناك.
- كان يُتهم أحد شخصيات الرواية بجريمة كبيرة، ويترك المحكمة تحكم عليه بالإعدام، ويلف الحبل حول عنقه، ويبقى طرف الحبل بيد الجلاد، وهو ينتظر إيماءة القاضي، ثم يفرج عنه فجأة، بانكشاف عدم صحة الاتهام.

التاريخ: علم بحياة الماضين ورجالهم وأحوالهم الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية، والأدبية. و (تاريخ الأدب) علم بحياة الأدب وتطوراته وأبطاله واتجاهاته، وأدب كل أمة تعبيرها الموحى عن تجاربها الشعورية. وتاريخ الأدب العربي على خمسة أعصر: عصر الجاهلية (١٥٠ - ١ هـ) وعصر الإسلام (١ - ١٣٢ هـ) والعصر العباسي (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) والعصر التركي (٦٥٦ - ١٣٤١ هـ) والعصر الحديث ما بعد سنة ١٣٤١ هـ.

جولة الكلمة

الحوزة العلمية الزينية

تمهيد

تلعب سوريا دوراً مهماً على صعيد الساحة العربية والإسلامية، وذلك لاستراتيجية موقعها الجغرافي، ولعراقة هذا البلد وعمق امتداداته التاريخية. ولهذا اكتسبت العاصمة السورية دمشق مميزات مهمة منحتها الدور الطليعي في البلدان العربية والإسلامية.

ثم إن الآثار الإسلامية التي تتمتع بها سوريا، ومزارات أهل البيت (عليهم السلام) ومقاماتهم، قد أضفت بعداً مهماً آخر يرفع من مكانتها. وأبرز معالم أهل البيت، هو مرقد العقيلة الهاشمية السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهما السلام).

في ضاحية دمشق، والتي يقصدها محبو أهل البيت من كل مكان من العالم. وبالقرب من الروضة الزينية المباركة روضة العلم والنور، يشمخ صرح علمي كانت له الريادة في تأسيس مدرسة علمية جديدة، تقوم - إلى جانب مدرسة النجف وكربلاء وقم وغيرها - بتخريج العلماء ونشر العلم والدعوة إلى الحق.

وهذا الصرح المبارك هو (الحوزة العلمية الزينية) الجامعة العلمية الأولى التي تأسست على طريق إنشاء الحوزة العلمية في المنطقة المباركة لشريكة سيد الشهداء الحسين السبط عليه السلام. والتي ظلت على مدى أكثر من عقدين ونصف من الزمن ترعى العلم والعلماء وتساهم في نشر الدين وتبليغ شريعة سيد المرسلين.

التأسيس

لقد كانت الترددات والزيارات التي قام بها الشهيد السعيد الإمام السيد حسن الشيرازي (قدس سره) إلى دمشق خلال إقامته في لبنان توحى له بضرورة التفكير الجدّي بإقامة مدرسة دينية في هذه المنطقة المهمة تحتضن طلبة العلوم الإسلامية وتسعى لتخريج العلماء والخطباء والمبلغين.

ومما حقّزه على ذلك قيام السلطات في العراق بتسفير أعداد كبيرة من طلبة العلوم الدينية الوافدين من مختلف أقطار العالم للدراسة في حوزات النجف وكربلاء، والذين أصيبوا بخيبة أمل وانتكاسة كبيرة لعدم قدرتهم على الحصول على فرصة أخرى لمواصلة طريق العلم.

ولكنهم سرعان ما وجدوا أملهم في الشهيد السيد حسن الشيرازي الذي استقبلهم بحفاوة وبدأ بتقديم كل المساعدات الممكنة، مادياً ومعنوياً. ووعدهم (بأن يقدم لهم كافة المساعدات، ويوفر لهم كافة الاحتياجات، شريطة أن يقيموا في سوريا ويلتحقوا بالحوزة الزينية).

وكان ذلك في العام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٣) بعد أن وضع الشهيد اللجنة الأولى للحوزة العلمية الزينية. وهي

أول حوزة في منطقة السيدة زينب (عليها السلام) بدمشق. وقد ساعده في ذلك جماعة من المؤمنين الأخيار. وكانت فكرة تحويل منطقة السيدة زينب إلى مركز علمي إسلامي ومجمع ديني، تواجه صعوبات كبيرة منها قلة الإمكانيات وعدم تقبل الفكرة ووجود المعارضين لها والحصول على موافقة السلطات السورية. ولكن ذلك لم يمنع الشهيد السيد حسين الشيرازي من المضي قدماً بخطوات راسخة تتوكل على الله وتجاهد في سبيله. ولهذا قام (رحمه الله) بزيارات لبعض المؤمنين في دول الخليج لحثهم على المساعدة في إنجاز هذا المشروع العظيم، بعد أن أوضح لهم أهميته وشدة الحاجة إليه وعظيم المسؤولية التاريخية تجاهه. ولقد تكلفت جهوده بالنجاح الذي منحه لقب (مؤسس الحوزة العلمية في منطقة العقيلة السيدة زينب).

المناهج الدراسية

يرتكز منهج الحوزة العلمية - شأنها شأن الحوزات الأخرى - على دراسة مادتي الفقه وأصوله. وتتضمن الدراسة أيضاً علوم اللغة العربية - النحو والصرف والبلاغة - والمنطق والفلسفة، إضافة إلى تفسير القرآن والخطابة.

ومن الكتب المقررة في المنهج الدراسي: (المسائل الإسلامية) في الفقه و (العقائد الإسلامية) للإمام السيد محمد الشيرازي - وشرح ابن عقيل في النحو - والمنطق للعلامة المظفر - وشرائع الإسلام واللمعة الدمشقية والمكاسب في الفقه - والرسائل والكفاية في الأصول - وشرح التجريد ونهاية الحكمة في الفلسفة.. وغيرها.

البرنامج الدراسي

نظام الدراسة في الحوزة مكون من ثلاث مراحل تؤدي بالطالب إلى مرحلة البحث الخارج التي يخوض فيها الطالب أعمق البحوث والتحقيقات في الفقه والأصول، والتي تؤهله لدرجة الاجتهاد. تختص المرحلة الأولى - التي تكتمل بأربع سنوات - بدراسة المقدمات من الفقه واللغة العربية والمنطق وعلوم القرآن. وخلال المرحلتين الثانية والثالثة يدرس الطالب الفقه وأصوله والفلسفة الإسلامية والخطابة. وتنقسم المراحل الدراسية الثلاث إلى عشرة صفوف متسلسلة، ولا ينتقل الطالب إلى صف أعلى إلا بعد أن يجتاز الامتحانات الفصلية والسنوية، ولا يدخل مرحلة البحث الخارج إلا أن يكون قد اجتاز بنجاح الدراسة في الصفوف العشرة جميعها. وجدير بالذكر أن الطالب لا يقبل في الحوزة إلا أن يكون قد أنهى دراسة المرحلة المتوسطة في المدارس الأكاديمية.

منتسبو الحوزة

تضم الحوزة ثلاثة أقسام من المنتسبين: الأساتذة، والطلاب، والموظفون. يبلغ مجموعهم حالياً (٤٥٠) فرداً من (١٦) جنسية.

ويبلغ عدد المدرسين في الحوزة (٣٢) مدرساً قد تخرج بعضهم من مدرسة النجف الأشرف، منهم الأساتذة البارعون القديرون في فن تدريس العلوم الحوزوية إذ يحملون تجارب كبيرة وخبرة طويلة في العلوم الدينية، مثل سماحة آية الله الشيخ محمد علي الفاضلي وحجة الإسلام الشيخ الباميانى وحجة الإسلام السيد قاسم الرضوي وحجة الإسلام الشيخ محمد المقدس - وهم من تلامذة السيد الخوئي - وسماحة الحجة الشيخ الناصري، وغيرهم.

إدارة الحوزة

بعد أن غابت شمس الشهيد السيد حسن الشيرازي، تولّى رعايتها أخوه سماحة الإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله) حيث عهد الإشراف عليها والاهتمام بشؤونها إلى نجله سماحة حجة الإسلام السيد جعفر الشيرازي. والهيكل الإداري للحوزة عبارة عن لجنة مؤلفة من سبعة أشخاص، كلهم من الأساتذة الكبار القديرين، وجميعهم خريجو الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

توابع الحوزة

هناك مشاريع مختلفة ملحقة بالحوزة، وهي تؤدي أدوار مختلفة لتنظيم مهمات الحوزة وواجباتها. منها:

المكتبة:

وهي عبارة عن صالة كبيرة للمطالعة تضم أغلب مصادر العلوم الحوزوية وعدداً ضخماً من الكتب القديمة والحديثة.

وتعدّ من أهم وأوسع المكتبات في السيدة زينب (عليها السلام) ويرتادها الباحثون والمؤلفون من كل مكان.

الحسينية (المصلى):

ولها مساحة كبيرة إذ يمكن أن تتسع لثلاثة آلاف شخص. وتقام فيها صلاة الجماعة يومياً. وتستغل لإقامة المناسبات الدينية وإحياء مراسم محرم الحرام، إضافة لعقد المحاضرات.

مقر الممثلة:

وهي صالة واسعة مخصصة لاستقبال الضيوف والزوار واجتماع الفضلاء والعلماء. وفيها يتواجد ممثل سماحة الإمام الشيرازي وهو نجله سماحة حجة الإسلام السيد جعفر الشيرازي. ويقام فيها مجلس حسيني في يوم الأحد مساء الاثنين من كل أسبوع.

حسينية النساء:

وهناك قسم خاص بالنساء، يتم فيه إقامة دورات دراسية حوزوية ومحاضرات إسلامية وعامة من أجل رفع مستوى تعليم المرأة وثقافتها. وأيضاً تُحيى فيه المناسبات الدينية المختلفة.

دورات صيفية

ولأجل تحصين الصغار والناشئة وترسيخ المفاهيم الإسلامية فيهم، تقوم الحوزة بعقد دورات صيفية مختلفة صباحية ومسائية تسعى من خلالها إلى ملء فراغهم واستثماره لتوجيههم وإرشادهم.

ولأجل إلقاء الضوء على نقاط أخرى التقت الكلمة الطيبة بالمشرف العام على الحوزة العلمية الزينبية ممثل الإمام الشيرازي، سماحة حجة الإسلام السيد جعفر الشيرازي.

* * *

بمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لاستشهاد المفكر الإسلامي الكبير آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره) تتشرف مجلة الكلمة الطيبة باللقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين العلامة السيد جعفر الشيرازي ممثل سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي والمشرف العام للحوزة العلمية الزينبية في دمشق لتحاورة حول برامج هذه الحوزة التي أسسها السيد الشهيد حسن الشيرازي ضمن باب (جولة الكلمة) الذي يدور حول التعريف بهذه المؤسسة الدينية العريقة.

الكلمة الطيبة: قطعت الحوزة العلمية الزينبية أشواطاً علمية واجتماعية طويلة منذ بداية تأسيسها على يد الراحل الكبير الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره، فكيف ترون مسيرة هذه المؤسسة بعد ستة وعشرين سنة من النشاط العلمي والاجتماعي المتواصل؟
سماحة السيد جعفر الشيرازي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.
وبعد: الحوزة العلمية الزينبية - وكل مشروع إسلامي - بدأت بداية متواضعة، لم تكن تأوي إلا عدة قليلة من الطلبة ومن ثلاث جنسيات، وكان نشاطها منحصراً في التدريس والدراسة، ولكنها حيث بنيت على التقوى، فأتها نمت وترعرعت وازداد عطاها يوماً بعد يوم.

لم يكن الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره) مرجعاً حتى تجبى له الأموال ولم تكن له استثمارات تجارية تدرّ عليه ما تحتاجه الحوزة من مصاريف ورواتب، ولكنه كان يمتلك الإخلاص والعزيمة، فبدأ وهو صفر اليدين، كان قد استأجر داراً مكونة من غرف قليلة لتكون مقراً للحوزة، ثم اشترى أرضاً لتبنى عليها الحوزة - مدرسة ومسجداً وحسينية ودور للطلبة - لكن رصاصات الغدر لم تمهله، وبعد استشهاد عيّ سماحة السيد الوالد دام ظلّه آية الله الشيخ محمد صادق الكلباسي (دام عزه) للاشراف على الحوزة فوضع المنهاج الأكاديمي الذي يتضمن عشرة صفوف وامتحانات فصلية وسنوية وغيرها، بدّل تلك الأرض ببناء على الشارع العام - المقر الحالي للحوزة - وحاول إيجاد الاكتفاء الذاتي للحوزة لكن بعض الناس حالوا دون تطبيق هذا المشروع، وبعد سفر الشيخ الكلباسي عيّ الإمام الشيرازي حجة الإسلام والمسلمين السيد محسن الخاتمي (دام عزه) فأدار الحوزة خير إدارة خلال عشر سنوات رغم كل المصاعب التي واجهها وتم شراء أرض كبيرة بجوار الحوزة وبنيت عليها حسينية الحوزة للرجال والنساء والمدرسة الكبيرة للحوزة.

وفي الحال الحاضر ولأسباب متعددة منها نمو طلبة الحوزة واستقرار مختلف الكوادر الدينية فيها وتطبيق بعض أفكار سماحة السيد الوالد وتطوير النظام الدراسي والإداري في الحوزة والاستفادة من وسائل التقنية الحديثة، لكل ذلك ولغيرها من الأسباب، ازداد تطور الحوزة العلمية الزينبية ونرجو من الله عز وجل أن يزيدها تطوراً ونشاطاً.

الكلمة الطيبة: هل لديكم أفكار جديدة لتطوير برامج الحوزة على ضوء ما يراه سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله)؟

سماحة السيد: نحن لا نتمكن من تطبيق الكثير من أفكار سماحة السيد الوالد دام ظله وذلك لأن تلك الأفكار بحاجة إلى جهد كبير وتوعية كافية، خاصة وأن سماحته يرى أن الإصلاح أفضل طريقة وأحمد عاقبة من التغيير المفاجئ. ولكن مع ذلك هناك محاولات جادة لتطبيق ما يمكن تطبيقه والتخطيط لتمهيد الأرضية المناسبة لباقي الأفكار.

وأهم شيء نفكر فيه هو محاولة جعل الحوزة تواكب العصر، فلذا قمنا بعدة خطوات ونحاول لأخرى ومنها:

* تغيير بعض المناهج والكتب واستعاضتها بمناهج وكتب حديثة.

* ادخال بعض الدروس الحيوية إلى نظام الحوزة.

* تأسيس عدة مؤسسات ثقافية داخل الحوزة وإشراك الطلبة فيها.

تعيين مدرسين - ومن طلبة الحوزة - قد تلقوا دروساً في الجامعة فجمعوا بين الجديد والقديم.

* تعليم الطلبة الوعظ والإرشاد والارتباط بالناس عبر ارسالهم إلى التبليغ والممارسة الميدانية.

* إدخال أجهزة التقنية الحديثة وتعليم الطلبة عليها.

الكلمة الطيبة: هل حققت الحوزة العلمية الزينبية طموح وآمال سماحة السيد الشهيد حسن الشيرازي (قدس سره)؟

سماحة السيد: إن طموح الشهيد آية السيد حسين الشيرازي، كانت اوسع من الدنيا، فلقد كان يريد انقاذ بلاد الإسلام من الشرق والغرب، وإقامة حكومة إسلامية، ونشر الإسلام في مختلف ربوع الأرض وكل ذلك بينه في إشعاره التي انشأها وانشدها في كربلاء المقدسة في ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد حاول ذلك لكن معاكسات الأصدقاء غير الواعين من جهة ورساصات الأعداء من جهة أخرى جعلته لا يحقق كثيراً من طموحه، ولذا فإني اظن أن الحوزة العلمية الزينبية - وإن حققت الكثير جداً - لكنها لم تبلغ لحد الآن معشار ما أراده الشهيد قدس سره، لكننا نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لمواصلة المسيرة.

الكلمة الطيبة: المعروف أن الإمام الشيرازي (دام ظله) يرى أن عمل الحوزة هو امتداد للنشاط الاجتماعي فما مدى انطباق رؤية الإمام الشيرازي (دام ظله) مع ما قدمته هذه المؤسسة الدينية؟

سماحة السيد: ليست هذه الحوزة كياناً منفصلاً عن الجمهور، ذلك أن الشهيد قد تربى على يد والده آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي (قدس سره) وفي حوزة كربلاء المقدسة حيث كان يعيش والده بتربعه على حوزة كربلاء كان مع الناس في آلامهم وأفراحهم ومشاكلهم. وقد انعكست نفسية الشهيد على الحوزة العلمية الزينبية، فتراها مؤسسة اجتماعية متكاملة.

فهي تحتوي على:

حسينية تقام فيها الصلوات الخمس جماعة، والمجالس الحسينية المختلفة ومن مختلف الهيئات، وفواتح المؤمنين وخطب الجمعة، والإطعام... ومكتب يتم فيه الالتقاء بالناس والاجابة على أسئلتهم الشرعية وقضاء حوائجهم وحل مشاكلهم.

وقسم ثقافي بالالتقاء بالشرائح المختلفة من الجماهير وتوزيع الكتب ومراسلتهم وإرسال مبلغين إليهم

ومناقشتهم في مختلف الأمور.

وقسم المشاريع حيث أقامت الحوزة عشرات المشاريع كالمساجد والحسينيات والمغتسل وغيرها في مختلف المحافظات السورية.

ومكتب العلاقات العامة الذي يُعنى بالنشاط الإعلامي والسياسي والاجتماعي وغيرها.

إضافة إلى أقسام أخرى تهتم بالجانب الاجتماعي.

ومع كل ذلك فإن الحوزة تسعى إلى الأفضل ولا تكتفي بالقدر الموجود، ونسأل الله التوفيق، ورحم الله السيد الشهيد قدس سره حيث بذر هذه البذرة المباركة (ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء).

استراحة العدد

حكمة العدد

خالطوا الناس مخالطة إن متم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا إليكم

غرر الحكم

الأئمة (عليهم السلام) يجيبون

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل آتية وأكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله ومنهم من آتية فأكلمه الكلام فيستوفي كلامي كله، ثم يرده عليّ كما كلمته، ومنهم من آتية فأكلمه فيقول: أعد عليّ فقال (عليه السلام): وما تدري لم هذا؟ قلت: لا.

قال (عليه السلام): الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله: فذاك مَنْ عجنت نطقته بعقله. وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك: فذاك الذي ركب عقله في بطن أمه. وأما الذي تكلمه بالكلام فيقول: أعد عليّ: فذاك الذي ركب فيه بعد ما كبر.

بحار الأنوار: ٩٧ / ١

أماكن مقدسة

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الكلمات التي اختارهن الله لإبراهيم حيث بنى البيت هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسمى الكعبة لأنها وسط الدنيا ومكة أشرف البلدان وأفضل البقاع وأول أرض ظهرت على وجه الماء.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة في منازلها ولا تزال كذلك وجعلها أفضل الأرض في الجنة. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد سئل عن موضع الباب الذي فتح من السماء فنزلت منه الملائكة بالرحمة على بني إسرائيل أي موضع هو؟ قال: مقابل الصخرة التي ببيت المقدس ومعراج الأنبياء فإن بيت المقدس بقعة جمع الله فيها خيار خلقه من الأولياء والملائكة المقربين.

قال الباقر (عليه السلام): مسجد كوفان روضة من رياض الجنة صلى فيه ألف بني وسبعون نبياً وميمنته رحمة وميسرته مكرمة وفيها عصا موسى وشجرة يقطين وخاتم سليمان ومنه فار التنور وبحرت السفينة وهي صرة بابل ومجمع الأنبياء (عليهم السلام).

لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين

روي أن أول من قال ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي عزة الشاعر واسمه عمرو بن عبد الله بن عمر الجمحي وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسره يوم بدر فقال: يا محمد إني رجل معيل وإنما خرجت معهم ليعطوني ما أعود به على عيالي، فمنَّ عليه وحذرهُ أن يعود فضمن له إلا يكثر عليه جمعاً، فلما كان يوم أحد خرج فيمن تألب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأله وسلم) أسيراً ولم يأسر يومئذ سواه، فقال: يا محمد منَّ عليَّ فأنِّي حُمِلْتُ على الخروج عليك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، لا تأتي مكة تمسح عارضك وتقول: خدعت محمداً مرتين).

ثم أمر عاصم بن ثابت بن الأفلح فضربَ عنقه.

آفات؟!!

- * آفة العمل ترك الإخلاص.
- * آفة المشاورة انتقاض الآراء.
- * آفة الشرف الكبر.
- * آفة العلماء حُبُّ الرئاسة.
- * آفة الملوك سوء السيرة.
- * آفة الوزراء خبث السرائر.
- * آفة الخير قرين السوء.
- * آفة النجاح الكسل.
- * آفة الكلام الإطالة.
- * آفة الورع قلة القناعة.

غُرر الحكم ودرر الكلم للإمام أمير المؤمنين

هل تعلم..؟

- * هل تعلم أن الموظفين المتعبين أو سائقي الشاحنات ممن يغفون بفعل الأرهاق أثناء القيادة يكبدون الاقتصاد الألماني نحو ١٠ مليارات دولار سنوياً منها ٤ مليارات تنجم عن حوادث الطرق.
- * هل تعلم أن إحدى الشركات الأمريكية نجحت في إرسال رفات ١٠٠ من الموتى إلى مدار الأرض، وإنها ستزور رماد الموتى على سطح القمر، ويتوقع أن تصل تكاليف الدفن في الفضاء إلى أكثر من ١٢ ألف دولار.

* هل تعلم أن حوالي ٨٠٠ مليون شخص في العالم النامي لا يملكون ما فيه الكفاية من الطعام؛ وهناك ٤٥ مليون شخص في الدول الصناعية والبلاد التي تمر في مراحل انتقالية يعانون من نقص الأغذية.

* هل تعلم أن ٨٠٠ شخص يلقون مصرعهم بسبب تجاوزهم إشارة المرور الحمراء فيما يتعرض ٢٠٠ ألف آخرين للإصابة في طرق الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أكدت الدراسة التي أجراها معهد تأمين السلامة على الطرق السريعة أن أكثر من ٦ آلاف شخص لقوا مصرعهم في الفترة بين ١٩٩٢ و ١٩٩٨ بسبب تلك التجاوزات.

* هل تعلم إن الأمراض الوبائية تقتل سنوياً ١٣ مليون شخص، وإن مرض الملاريا وحده يقتل سنوياً ٢,٦ مليون شخص ٧٥% من الأطفال وإن أمراضاً مثل السل والأيدز تسببت بوفاة (١٥٠) مليون شخص منذ عام ١٩٤٥ في حين قتلت الحروب ٢٣ مليون شخص خلال الفترة نفسها.

مختارات علمية

التعلم في الصغر كالنقش على الحجر

أكدت دراسة حديثة أن الأطفال الصغار الذين يحرص آباؤهم على توفير الكتب لهم وقراءتها لهم يتقدمون دراسياً فيما بعد عن غيرهم. فالصغار الذين يرون الكلمات المكتوبة في سنواتهم الأولى تصبح لديهم مهارات أكبر في القراءة كما تصبح لديهم قدرة أفضل على التركيز، كذلك يشاركون بشكل إيجابي في الحصص الدراسية، ويكونون أكثر ميلاً لشراء الكتب والاستمتاع بالقراءة والانضمام للمكتبات.

جديد الكمبيوتر كمبيوتر جديد.. يفكر ويرى!

توصل علماء أمريكيون إلى تصميم دائرة إلكترونية يمكنها محاكاة عمليات العقل البشري. وقالوا: إنها ربما تستخدم في المستقبل القريب في صناعة أجهزة كمبيوتر تتعامل مع المعلومات بالطريقة نفسها التي يتعامل بها المخ البشري مع المعلومات، أي أنها تتمتع بقدر من الذكاء.. وتكون قادرة على التفكير. وقال العلماء في معهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا: إن الدائرة الإلكترونية الجديدة تعمل بصورة مشابهة للنظام العصبي في المخ البشري وتتكون من خلايا عصبية صناعية تعمل في إطار نظام يمكن استعماله في مهام ذهنية مثل الإدراك البصري.

برنامج للتعرف على البصمات:

طرح إحدى الشركات الأمريكية برنامجاً للتعرف على بصمات مستعملي الكمبيوتر وهذا النظام مخصص لمستعملي الأجهزة الشخصية ويتم تركيب النظام بواسطة منفذ وفق معايير (يو أس بي) ويمكن استعماله بالتوافق مع التطبيقات المخزنة في ذاكرة الكمبيوتر لمنع أصحاب البصمة المخزنة ضمن النظام من الوصول إلى محتويات الذاكرة.

نظام التعرف على وجوه مستعملي الكمبيوتر:

طرحَت شركة أمريكية برنامجاً للتعرف على المستعملين وذلك عن طريق تسجيل ملامح وجه المستعمل في ذاكرة خاصة ويقوم المستعمل بعرض وجهه على النظام بواسطة ماسحة خاصة فيستطيع الولوج إلى ملفات الكمبيوتر ليتعرف البرنامج من خلالها على الوجوه بنسبة دقة تصل إلى ٩٩ %.

الكمبيوتر العملاق:

كشفت شركة (آي بي أم) عن أسرع كمبيوتر في العالم والذي ستستخدمه الحكومة الأمريكية لمحاكاة اختبارات الأسلحة النووية.

ويمكن للكمبيوتر العملاق أن يعالج في الثانية الواحدة عمليات أكثر مما يستطيعه شخص يستخدم آلة حاسبة في عشرة ملايين عام؛ وقد أنتج لحساب مشروع متطور لاستخدام الكمبيوتر يتبع وزارة الطاقة ويعرف اختصاراً باسم (اسكي)؛ ويمكن أن يخفف النظام من معارضة الكونغرس لتوقيع الولايات المتحدة لاتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية التي تحضر كل الاختبارات الحقيقية للأسلحة النووية في مختلف أنحاء العالم. والكمبيوتر الجديد به ٨١٩٢ معالماً صغيراً من النحاس وهو أقوى ألف مرة من سلفه (ديب بلو) الذي كان يلعب الشطرنج وهزم بطل العالم غازي كاسباروف في مواجهة تاريخية بين الإنسان والآلة عام ١٩٩٧ ويغطي الكمبيوتر العملاق الجديد مساحة تعادل ملعبين لكرة السلة ويعادل وزنه وزن ١٧ فيلاً، وستبيع (آي بي أم) هذا النظام لوزارة الطاقة الأمريكية بمبلغ (١١٠) مليون دولار.

طرائف

العجوز والعطر:

كانت لرجل من الأعراب امرأة عجوز، وكانت تشتري العطر بالخبز فقال:

عجوز تُرجى أن تكون فتية وقد غارت العينان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

حماقة:

مرَّ بعضُ الحمقى بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكي، فرقَّ لها وقال: مَنْ هذا الميت؟
قالت: زوجي.

قال: فما كان عمله؟

قالت: يحفر القبور.

قال: أبعد الله أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها!